13 me Année No. 650

Lundi —17—12—1945

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٦٥٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٥ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

## مؤلف العباسة

بتكريم صاحب الجلالة الفاروق

ربما كان صاحب (الأنات الحائرة) مثلا فريداً فى تاريخنا الأدبى كله : أبدر قمره وهو هلال يلوح ، وأينع ثمره وهو زهر يفوح ، واكتمل شعره وهو قصيد ينوح ؛ فلم نكد نرى الشاعر وجدانياً يرجّع الأنات على قبر (زين)، ويوقع الذكريات على ضريح (خديجة) ، حتى رأيناه روائياً يحتجب وراء الأستار، ثم يقول قول الفلاسفة ، ويفعل فعل الآلهة ، فيبعث الأموات ، ويخلق الأشخاص ، ويعيد الأحداث ، ويصور الأخلاق، ويمثل العواطف ، ويفلسف الحياة ، ويرسم البيئة ، ويستخلص العبرة ! وبين الشعر الوجدانى والشعر الدرامى دهر طويل وشوط بعيد لا بد منهما ليستطيع الشاعر أن يخرج عن ذاته ، وينقل عن حياة غيره لا عن حياته ؛ ولكن شاعر المآسى نضج باكراً من حرارة الحزن ، وفاض طاغياً من فوران الحس ، وانفجر صارخاً من بُرَحاء الألم . فهو فريد فى نزوغه ، فريد فى نبوغه ، فريد فى تطور شعره ، فريد فى استفاضة ذكره ، فريد فى كل ما يتصل بشاعريته حتى فى الإشادة بها والإثابة عليها ؛ فقد تفضل صاحب الجلالة الملك فاروق أعز الله نصره ، وجمل بالآداب والفنون عصره ، فأنعم على مؤلف العباسة بالباشوية ، وما علمنا قبل عهد الفاروق ومجد عزيز أن رجلا أصبح باشا لأنه شاعر ! والذى نعلمه أن الخطباء فى عهود الحضارة العربية قد نالوا الإمارة ، والكتّاب قد بلغوا الوزارة ، ولكن الشعراء كانوا كالمغنين والموسيقيين، شيئاً من زينة الملك وترف الدولة ، ينادمون الخليفة ولا يدخلون فى بطانته ، ويطربون الشعب ولا يحسَبون فى قادته . فإذا أصبحنا ننظر إلى الشاعر العربى النابغ نظر الإنجليز إلى شاعر الملكية شكسبير[1]، أو إلى شاعر الإمبراطورية كبلنج ، فإنما يرجع الفضل فى هذا النظر الجديد السديد إلى عطف مليكنا فاروق وفن شاعرنا عزيز !

ليت الشاعر أو الذين رصدوا كوكبه وسايروا هواه من لداته وثقاته حللوا عوامل هذا النبوغ المفاجئ ، وسجلوا أطوار هذا الشعر المحكم ، فإن رجال الأدب يستبعدون أن يولد شاعر بهذا الكمال ، ويوجد شعر بهذا الجمال ، فى صيف عام واحد . والراصد البعيد يرى فى الأمر أثراً من فضل الله ، وفضل الله يؤتيه من يشاء لحكمة لا يدخل تعليلها فى منطق عباده .

يرى الراصد البعيد تلك النفس اللطيفة التى أشبلت على مواهب هذا الشاعر وعواطفه شقيقةً وصديقةً وزوجة ، فيذكر أم المؤمنين التى حضنت الرسالة وواست الرسول وناصرت الدعوة . ثم يسمع هذا الشاعرَ المفجوع يهتف بشهر يونية وبما تفجر فيه على قلبه من ينابيعَ بعضُها يسيل هادئاً باللذة ، وبعضها يهدر صاخباً بالألم ، فيذكر شهر رمضان وما تجمع فيه للإسلام من الذكريات الملهمات

(١) قال كرلايل فى كتابه الأبطال: « لو خيرنا بين أن نترك شكسبير أو بلاد الهند لقلنا : سواء أحكمنا الهند أم لم نحكمها فلا غنى لنا عن شكسبير؛ فسيجيء يوم يصبح فيه أبناء بريطانيا مبعثرين فى الأرض ولا يجدون لهم ملكا يجمعهم غير شكسبير » .

من يوم بدر ، إلى ليلة القدر . ثم نرى هذا الفيض الشعرى الدافق ينبجس فجأة على لسان (المدثر) بعد سن الأربعين ، فيذكر الفضل الذى آتاه الله سيد البلغاء محمداً رسوله وهو فى هذه السن فيفجأ أمراء القول ببلاغة تشبه الإلهام لأنه لم يعانها ولم يتكلفها ولم يرتض لها ولم يشتهر بها قبل البعثة .

ذلك ما يراه الراصد البعيد وما يذكره . أما الناقد العليم بأسرار القلوب فيرى أن زوج هذه النفس اللطيفة كان يقول الشعر منذ ثلاثين سنة . كان يقوله حين خالصها الإخاء وهى قريبة ، وحين صافاها المحبة وهى خطيبة ، وحين صادقها الوفاء وهى زوجة ؛ ولكن شعره فى هذا العهد الحبيب الخصيب كان صامتاً لا ينطق به لسان ولا قلم ؛ لأن الشعور السعيد كالماء اللجىّ إذا عمق هدأ ثائره وسكن سطحه . والأليفان إذا لبس كل منهما صاحبه خُيل إليهما أنهما الصورة ، وكل ما على الأرض من شخص وشىء إطار ؛ فالشاعر يشدو بهما ، والمغنى يغنى لهما ، والطبيعة الصادحة والباغمة كلها تعبر عن النظرة الساهمة فى العين الحالمة ، وتفسر اللفظة الهائمة على الشفة الباسمة ؛ فما بهما إذن من حاجة إلى كلام يقاس بالتفاعيل ويحدّ بالقافية !

كان ذلك والعش الوثير الدافئ ناعم فى ظلال الأمن ، غارق فى صفاء النعيم ؛ فلما لحظته عيون الغير ، وقوضته أيدى شعوب ، ارفض صبر الشاعر ووهى جَلد الزوج فجأر بالشكوى وزفر بالأنين ؛ وكان من تلك الزفرات الحارة وهذه الأنات الحائرة مجموعة من الشعر الباكى استوجفت القلوب واستوكفت العيون وإن هش بها الفن وصفق لها الأدب ! وهكذا استطاع الحزن أن يحمل شاعرنا على أن ينوح ، ولم يستطع السرور أن يحمله على أن يغرد .

ثم ضاق وُسعه عن احتمال أساه ، فطفق ينشد العزاء فى مآسى الأزواج الذين تساقوا كؤوس الهوى صافية مترعة ، ثم سعى بينهم الدهر ، وصدع شملهم البين ، فمزج دمعه الدامى بدموع قيس وجعفر ، وبكى ربعه الموحش فى ربوع لبنى والعباسة . فكان شعره الدرامى تعبيراً عن ذاته وتمثيلا لمأساته ، وإن تغيرت الأسماء وتباينت الصور واختلفت النتائج .

شعر عزيز باشا الذى سمعناه أو قرأناه شعر عالى الطبقة ؛ جرى فيه على سَنَن الفحول من صاغة القريض ، فنضد اللفظ وجود المعنى وراض القافية ، وهى صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع وطول المعاناة وقوة الملكة . وإن له فى الديوان الأول قصائد ترفعه إلى المكانة العليا من شعراء العربية . ولكن هذا الشعر كله قد قطر من فؤاده القريح كما يقطر الدمع من العين أو الدم من الجرح ؛ فهو وليد الأسى وربيب الألم . فليت شعرى أيعتريه الذوىّ إذا ما التأم جرحه واندمل قلبه وجف ينبوعه ، أم يفجّر الله له ينابيع أخرى تسقيه وتنديه فيزكو ويتلون ويتنوع ؟ إن الرجل فنان موهوب ما فى ذلك شك . وإن فنه الحزين قد استطاع على قرب عهده بالحداد أن يحلق فوق السحائب الجون فيكشف آفاقاً بعيدة ويخلق معانى جديدة . ولعلك تجد فى العباسة على الأخص مصداق ذلك ، فإن فيها الغزل الرقيق ، والفلسفة الراشدة ، والسياسة الحكيمة ، والصور الاجتماعية ، والنوازع النفسية ، وكل ذلك فى حوار قوى ، وتشويق جاذب ، وتنسيق عجيب ، ومواءمة بين المعنى واللفظ ، وملاءمة بين الموضوع والوزن ؛ ومثل ذلك لا يتسنى إلا لمن ملك ناصية الشعر وقبض على أزمّة البلاغة

لهذا النبوغ الأصيل ، وهذا الشعر الفخم الجليل ، استحق شاعرنا التكريم . ومن تكريم الله إياه أن كرّمه صاحب الجلالة الفاروق بأرفع الرتب فى الدولة . ولهذا الإنعام السامى مغزى خطير وأثر كبير فى نهضة الأدب وحياة أهله : مغزاه الخطير أنه توجيه ملكى كريم إلى ما ينبغى أن يكون عليه أمر الأدب وقدر الأديب فى هذا العهد . وهو تنويه بشأن البلاغة العالية فى الوقت الذى طاولها فيه الأدب الخسيس فطغت السوقية على الصحافة والعامية على المسرح .

وأثره الكبير أنه تشجيع رفيع لعزيز باشا على أن يجرى إلى أبعد الغايات فى شعره ، تحقيقاً لرغبة المليك وقياماً بواجب شكره . وهو تشجيع لكل شاعر على أن يجدد ويجيد التماساً لرضا الفاروق حامى الفن ونصير الأدب .

وفى هذا الإنعام السامى كذلك تكريم للأسرة الأباظية العظيمة على ما أشاعت فى الأمة من خصال الفتوة . وللفتوة العربية عناصر أهمها الشجاعة والفصاحة والسماحة والمروءة ، وهى الخصال الغالبة على زعماء هذه الأسرة من سلف منهم ومن خلف .

نضر الله بأمثالهم عهد الفاروق ، وجدد بأعمالهم مجد مصر !

**احمد حسن الزيات**

# في إرشاد الأريب
## إلى معرفة الأديب
### للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٠ —

ج ١٦ ص ١٦٩ :

الصبر أولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة ... كان على أيامه بالخيار

قلت : الوقارْ ، بالخيارْ

* * *

ج ١٩ ص ٦٧ ، ٦٩ :

فلما وقفتَ الخيل ناقعة الصدى ... على ردى من فوقها الورق النضر
فمن بعد ما أوردتها حومة الوغى ... وأصدرتها والبيض من علق حمر
علا النهر لما كاثر القَصَبَ القنا ... مكاثرة في كل نحر لها نحر
وقد شرقت أجرافه بدم العدى ... إلى أن جرى العاصي[1] وضحضاحه غمر
إذا سار نورُ الدين في عزماته ... فقولا لليل الفجر قد طلع الفجر
مليك سمت شم المنابر باسمه ... كما قد زَهت تيها به الأنجم الزهر

قلت : (فلما وقفت الخيل) وجواب الشرط في الثاني : (فمن بعد) وقد ربط بالفاء .

(لما كاثر القَصَبَ القنا) .

(وضحضاحه غمر) في النهاية : مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر ، الغمر بفتح الغين وسكون الميم : الكثير أي يغمر من دخله ويغطيه . والضحضاح — كما في التاج — : الماء اليسير يكون في الغدير وغيره .

(فقولا لليل الإفك قد طلع الفجر) .

(كما زُهِيت تيها به الأنجم الزهر) .

الأبيات من قصيدة لمحمد بن نصر المعروف بابن القيسراني في البطل الخالد العظيم الملك العادل (نور الدين) حين أسر (جوسلين)[1] « وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين ، فإنه كان شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنج ، شديد العداوة للمسلمين ، وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الإسلامية وقسوة قلبه على أهلها وأصيبت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وخلت بلادهم من حاميها وثغورهم من حافظها . وسهل أمرهم على المسلمين بعده . وكان كثير الغدر والمكر ، لا يقف على يمين ، ولا يفي بعهد . طالما صالحه نور الدين وعاهده ، فإذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر ، فلقيه غدره ، وحاق به مكره ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فلما أسر تيسر فتح كثير من بلادهم[2] وقلاعهم ... وكان نور الدين (رحمه الله) إذا فتح حصناً لا يرحل عنه حتى يملأه رجالا وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من نصرة تتجدد للفرنج ، فتكون الحصون مستمدة غير محتاجة إلى شيء »[3] .

وفي هذه الرائقة الرائية :

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة ... فبالأفق الداجي إلى ذي السنى فقر
كأني بهذا العزم لا فل حده ... وأقصاه ب (الأقصى) وقد قضى الأمر
وقد أصبح (البيت المقدس) طاهراً ... وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر
وصلت ب (معراج النبي) صوارم ... مساجدها شفع وساجدها وتر[4]

* * *

(١) جاء في الشرح : العاصي نهر بدمشق . قلت : نهر حماة وحمص .

(١) سنة ٥٤٥ .

(٢) صرنا نقول بلادهم . . !

(٣) ابن الأثير رواه كتاب الروضتين في أخبار الدولتين . وفي نور الدين يقول ابن منير :

عقل الحق ألسن المدعينا ... أنت خير الملوك دنيا ودينا

قال صلاح الدين ذات مرة لرجل : كل ما ترى فينا من عدل فمن نور الدين تعلمناه .

(٤) الضميران في ساجدها ومساجدها يعودان إلى (صوارم) والمعنى مبين متضح .

ج ١١ ص ٤٦ : السيوف القلمية .

وجاء فى الشرح : القلمية نسبة إلى القلمة وهى ببلاد الهند ينسب إليها الرصاص والسيوف .

قلت : فى القاموس : والقلمة بلد ببلاد الهند ، قيل وإليه ينسب الرصاص والسيوف . وفيه : ومرج القلمة محركة موضع بالبادية إليه تنسب السيوف .

هذا ما ذكره المجد . وقد جاء فى الأساس : وسيف قلعى بفتح اللام عتيق نسب إلى معدن بالقلع-وهو جبل بالشام ، قال أوس : (يعلون بالقلع البصرى هامهم) وهو جمع القلعى كالعرك والعركى[1] والعرب العربى . وجاء فى النهاية . سيوفنا قلعية منسوبة إلى القلعة بفتح القاف واللام وهى موضع بالبادية تنسب السيوف إليه . ونقل اللسان ما قالته النهاية . وجاء فيه : وسيف قلعى . وذكر مرج القلعة ولم ينسب إليه شيئاً . وقال : القلعى الرصاص الجيد ، والقلع اسم المعدن الذى ينسب إلى الرصاص الجيد . ولم يذكر ( اللسان ) السيوف .

* * *

ج ١٧ ص ٢٩٢ : قلت : قصة حُوَيْصة ومُحَيْصَة ...

قال : فيحلف لكم يهودُ . قلت : هذه هى القصة كما رواها الإمام مسلم فى جامعه وقد ضبطت فيها الأسماء :

... عن سهيل بن أبى حَثْمَة أنه أخبره عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومُحَيِّصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم ، فأتى محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قُتل وطرح فى عين أو فقير[2] ، فأتى يهودَ فقال : أنتم والله قتلتموه ، قالوا : والله ما قتلناه ، ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم ذلك ثم أقبل هو وأخوه حُوَيِّصة وهو أكبر منه وعبد الرحمن ابن سهل فذهب محيصة ليتكلم ، وهو الذى كان بخيبر ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمحيصة : كبّر كبّر (يريد السن) فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يؤذنوا بحرب ، فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فى ذلك ، فكتبوا إنا والله

(١) صياد السمك .

(٢) بئر أو حفرة .

ما قتلناه . فقال رسول الله لحويصة ومحيصة : أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم ؟ قالوا : لا . قال : فتحلف لكم يهودُ . قالوا : ليسوا بمسلمين[1] . فوداه رسول الله من عنده ، فبعث إليهم رسول الله مئة ناقة حتى أدخلت عليهم الدار ... » .

وقال فى يهود ، وهو من أبيات ( الكتاب ) .

أولئك أولى من يهودَ بمدحة    إذا أنت يوماً قلتها لم تُؤنبِ

ويهود مثل مجوس قال وهو من أبيات ( الكتاب ) :

أحارِ ، أريك برقاً هب وهنا    كنار مجوس تستعر استعارا

بل لمجوس ما ليس ليهود . قال الشنتمرى فى هذا البيت : الشاهد فيه ترك صرف مجوس حملا على معنى القبيلة وهو الغالب عليها فى كلامهم ؛ وصرفها على معنى الحى جائز وليس بالكثير . وقال فى البيت الأول، الشاهد فى جعل يهود اسما علماً ، والقول فيه كالقول فى مجوس إلا أن الزيادة فى أوله تمنعه من الصرف[2] أن جعل اسماً للحى .

ومن أبيات ( اللسان ) :

فرت يهود وأسلمت جيرانها    صَمّى لما فعلت يهود صمامِ[3]

وفى بيتى (الشيخ) المشهورين : « ويهود حارت ، والمجوس مضلله » .

* * *

ج ٥ ص ٣٣ : وله ( لأحمد بن محمد السهيلى ) أشعار ، منها فى شعاع القمر على الماء :

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً    ونحن بالشط فى لهو وفى طرب

مَلك رآنا فأهوى للعبور فلم    يقدر فمد له جسراً من الذهب

قلت : ملك بالتسكين للوزن . المخصص ج ٢ ص ١٣٣ : « مَلِك ومَلْك ومليك ومألك والجمع أملاك وملاك وملوك

(١) فى رواية فى حديث آخر : فقال : يا رسول الله ، كيف نقبل أيمان قوم كفار

(٢) فى المصباح : ويقال : هم يهود غير منصرف للعلمية ووزن الفعل ويجوز دخول الألف واللام فيقال : اليهود وعلى هذا فلا يمتنع التنوين لأنه نقل عن وزن الفعل إلى باب الأسماء .

(٣) الصحاح : يقال للداهية : صمى صمام مثال قطام وهى الداهية أى زيدى . وفى مجمع الأمثال للميدانى : يقال للداهية والحرب صمام على وزنه قطام وحذام وصمى ابنة الجبل وأصلها الحية . وإنما يقولون صمى صمام وصمى ابنة الجبل إذا أبى الفريقان الصلح ولجوا فى الاختلاف .

وملكاء ، والأملوك جماعة الملوك كالأمعوز » وفى الصحاح : « وملك وملك مثل نخذ وتخذ كأن الملك مخفف من ملك ، والملك مقصور من مالك » .

* * *

ج ١٦ ص ٢٦٤ : حدثنى من أثق به أن الحريرى لما صنع المقامة الحرامية وتعانى الكتابة فأتقنها وخالط الكتاب أصعد إلى بغداد ، فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو منغص بذوى الفضل والبلاغة ، محتفل بأهل الكفاية والبراعة ، وقد بلغهم ورود ابن الحريرى إلا أنهم لم يعرفوا فضله ، ولا أشهر بينهم بلاغته ونبله ، فقال له بعض الكتاب : أى شىء تتعانى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه ، فأخذ بيده قلما وقال : كل ما يتعلق بهذا وأشار إلى القلم ، فقيل له : هذه دعوى عظيمة . فقال : امتحنوا تخبروا ...

وجاء فى الشرح : وتعانى الكتابة : قاساها وعالجها وتناولها . وهو منغص الضمير للديوان أى ممتلىء بهم ضيق عليهم .

قلت : (وعانى الكتابة) (أى شىء تعانى من صناعة الكتابة) و « معاناة الشىء ملابسته ومباشرته » كما قال اللسان . ولم أجد فى كلام أو معجم نعرفه (تعانى يتعانى تمانيا) واليقين أن التمانى فى قول أبى الطيب فى طبعة (شرح العكبرى) ج ٣ ص ٤٣٦ :

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتعانى

هو تصحيف أو تطبيع . واللفظة هى (نتفانى) فى (ديوان أبى الطيب) فى النسخة الفائقة التى حققها العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام . وفى (ديوان المتنبى) الذى نشره الشيخ عبد الرحمن البرقوقى (رحمه الله) ورجع فيه إلى شروح كثيرة .

و (أشهر) يقول فيها المصباح : « وأما أشهرته بالألف بمعنى شهرته فغير منقول » والذى نقلوه هو شهره شهراً وشهره تشهيراً واشتهره وهذا لازم ومتعد .

و (منغص) هى (مغتص) . فى التاج : ومنزل غاص بالقوم أى ممتلىء يقال : الإنس فى المجلس الغاص لا فى المحفل الخاص واغتص المجلس بأهله كغص .

**قلت : أوقن أن صاحب التاج لم يرو (الإنس الخ) بل روى:**

(الأنس فى المجلس الخاص لا فى المحفل الغاص) والوارد فى الطبعة هو أنس الدهماء والغوغاء لا أنس صاحب التاج ولا أنس العلماء والعظماء والفضلاء .

* * *

ج ١٦ ص ٣٧ : ... فاعتمدت على القول مجملا لا مفصلا وضربة لا مبوباً فأقول . وجاء فى شرح ضربة : يريد خلطا من ضرب الشىء بالشىء كضربه بالتشديد خلطه .

قلت : قوله ضربة لا مبوباً مثل قوله مجملا لا مفصلا . فى المصباح : وأخذته ضربة واحدة أى دفعة . وفى التاج : والدفعة بالفتح المرة الواحدة . وفى الأساس . وأعطاه ألفا دفعة أى بمرة .

* * *

ج ١٦ ص ٧٩ : ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة داخلتك وسوء اختيارك .

قلت : فى الأساس : وإنه لخبيث الدخلة وعفيف الدخلة وهى باطن أمره ، وأنا عالم بدخلة أمرك .

* * *

ج ١٧ ص ١١٣ : . . فرأى الرسول لى غلماناً رَوْقة وفرشاً جميلا .

قلت : فى الأساس : هؤلاء شباب روقة جمع رائق كفاره وفُرهة ، وفى اللسان والتاج : والروقة الجميل جداً من الناس وكذلك الاثنان والجميع والتأنيث وقد يجمع على روق . وفى المقامات الحريرية : فلما انتهيت إلى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة ، وشارة مرموقة .

* * *

ج ١٤ ص ١٤٨ : أبو على بن مقلة : كنت أحقد ابن بسام لهجائه إياى

قلت : فى القاموس : حقد عليه كضرب ، وفرح أمسك عداوته فى قلبه وتربص لفرصتها . وفى الأساس : رئيس القوم محسود أو حاسد ، ومحقود أو حاقد .

* * *

ج ١٩ ص ٢٢٧ : ابن قلاقس :

**سدّدوها من القدود رماحاً وانتضوها من الجفون صفاحاً**

على هامش النقد :

# خان الخليـــلى

[ قصة مصرية ]

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

هذه هي القصة الثالثة للمؤلف الشاب ، سبقتها قصة « رادوبيس » وقصة « كفاح طيبة » وكلتاهما قصتان معجبتان مستلهمتان من التاريخ المصري القديم .

ولكن هذه القصة الثالثة هي التي تستحق أن تفرد لها صفحة خاصة في سجل الأدب المصري الحديث ، فهي منتزعة من صميم البيئة المصرية في العصر الحاضر ؛ وهي ترسم في صدق ودقة ، وفي بساطة وعمق ، صورة حية لفترة من فترات التاريخ المعاصر ، فترة الحرب الأخيرة ، بغاراتها ومخاوفها ، وبأفكارها وملابساتها ؛

ولا ينقص من دقة هذه الصورة وعمقها أنها جاءت في القصة إطاراً لحوادثها الرئيسية ، وبيئة عاشت القصة فيها .

ولكن هذا كله ليس هو الذي يقتضي الناقد أن يفرد لهذه القصة صفحة متميزة في كتاب الأدب المصري الحديث ...

إنما تستحق هذه الصفحة ، لأنها تسجل خطوة حاسمة في طريقنا إلى أدب قومي واضح السمات متميز المعالم ، ذي روح مصرية خالصة من تأثير الشوائب الأجنبية — مع انتفاعه بها — نستطيع أن نقدمه — مع قوميته الخاصة — على المائدة العالمية ، فلا يندغم فيها ، ولا يفقد طابعه وعنوانه ، في الوقت الذي يؤدي رسالته الإنسانية ، ويحمل الطابع الإنساني العام ، ويساير نظائره في الآداب الأخرى .

وهذه الظاهرة حديثة العهد في الأدب المصري المعاصر ، لم تبرز وتتضح إلا في أعمال قليلة من بين الكثرة الغالبة لأعمال الأدباء المصريين . وهي في هذه القصة أشد بروزاً وأكثر وضوحاً . فمن واجب النقد إذن أن يسجل هذه الخطوة ويزكيها .

* * *

وبعد ، فقد كنت أود أن أضع أمام القارئ ملخصاً للقصة بعينه على تتبع السمات الفنية فيها ، ويُشركه معي في تحليل هذه السمات . ولكن القصة بالذات من الأعمال الفنية التي لا سبيل إلى تلخيصها ، وحين تلخص تبدو هيكلا عظمياً خالياً من الملامح والقسمات التي تحدد الشخصية ، وتبرز مواضع الجمال والقبح فيها ... فلا مفر إذن من الحديث العام عن القصة دون الدخول في التفصيلات إلا بمقدار .

ليس في القصة كلها صخب ولا بريق ... إنها خلو من الالتماعات الذهنية والأفكار الكبيرة . ليس فيها « لافتة » واحدة من اللافتات التي تستوقف النظر . ومحيطها ذاته محيط عادي . وأحداثها وحوادثها مما يقع كل يوم في أوساطنا المصرية العادية . اللهم إلا تلك الغارات الجوية التي روعت بعض المدن في زمن الحرب والتي روعت أسرة « أحمد أفندي عاكف » فأزعجتها عن حي السكاكيني الذي استوطنته زمناً طويلا ، إلى الحي الحسيني وخان الخليلي ، لتكون في منجاة من الغارات ، في حمى ابن بنت رسول الله !

ولقد كان « أحمد عاكف » وهو يحمل عبء الأسرة بمرتبه

---

يا لهـا حالة من السقم حالت واستحالت ولا كفاها كفاحا(١)

صح إذ أذرت العيون دماء، أنهم أثخنوا القلوب جراحا

وجاء في الشرح : في الديوان يا لها حالة من السلم .

قلت : حالة ومن السقم الرواية الصحيحة وربما كانت حالة حلية والحلية الخلقة والصورة . وحالة ابن قلاقس من الجهة النحوية مثل ليل المتنبي في قوله :

فيا لك ليـلا على أعكش أحمّ البلاد خفيّ الصوى(٢)

قال ابن مالك : « وبعد كل ما اقتضى تعجباً ميّز » نحظة تميز في الدالية التنبية :

ويلمّها خطة ويلُم قابلها ! ! !

(١) جاء مثل هذا : ( وأي أمر سيء لا فعله ) ( وأي عبد لك لا ألما ) وقيل : شذ ترك التكرار ، وقيل ندر الأفراد مع الماضي المحض ...

(٢) أعكش موضوع معروف ، أحم أسود . الصوى أعلام تبنى على الطريق ليهتدى بها ( العكبرى ) والبيت من قصيدة يقول فيها :

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيت وأني أبيت وأني عتوت على من عتا

الصغير، إذ هو موظف بالبكالوريا في قلم المحفوظات بوزارة الأشغال ، كان قد أغلق قلبه وطوى أحلامه .. لم يفكر في الزواج ولم يعد يطمح إلى الحب ، أو إلى الشهادة العالية . لقد وقفت أمامه العراقيل العائلية والمادية والعلمية ، فانطوى على نفسه واستراح إلى اليأس بعد الفشل المكرور ؛ وقد ترك هذا الفشل في نفســـه مرارة لا تمحى ، ولوّن شخصيته تلوينا معيناً ، ودس فيها عيوباً شتى . ولكنه وقد عجز عن الطموح جعل العزوف عن المطامح سلوته ، والترفع عن الوسط طابعه وآوى إلى مكتبته وكتبه ، وهي مثله تمثل جيلا مضى ، وتعرض مباحث قديمة لا صلة لها بالحاضر وما فيه ، فزاده هذا بعداً عن الجيل ، وإيغالا في التاريخ !

وحينما انتهى من تعليم أخيه الصغير تعليما عاليا كان قد ناهز الأربعين . كان قد شاخ ، فأحس أن الأوان قد فات ، وسار في طريقه يقطع الحياة كالأجير المسخر ، منطويا على نفســه ، وقد أورثه الفشل والعزلة طابع التردد والتخوف والحذر من كل خطوة إيجابية ، فهو يعيش في داخل نفسه عاجزاً عن تحقيق تصوراته وتجسيم خيالاته .

ولكن القدر الساخر لا يدع الناس يستريحون — ولو راحة اليأس المريرة — إنه يطلع على هذا الكهل — كما يسميه المؤلف — بوجه جميل يلوح له في النافذة المقابلة . إنه وجه فتاة صغيرة لا تزال طالبة بالمدرسة . إنها تصلح أن تكون ابنته ... ولكن هذا الوجه يبسم له ، فيثير في نفسه كوامن المشاعر النائمة ، على حين يدركه حذره وتردده ، وخجله من فارق السن السحيق .

وتمضي الأيام وهو في شغل معقد مقيم بهذا الحادث الجديد الذي يهز كيانه الضعيف هزا عنيفا وتواصلا بين الإقدام والإحجام ، ويبدع المؤلف في تصوير شتى النوازع والاتجاهات في هذه النفس المعقدة . وفي نفس الفتاة الصغيرة تلك الأنثى المهيأة لحياة البيت والزواج .

وفي اللحظة التي يكاد يقدم فيها على الخطوة الحاسمة في حياته ، وقد تندّى قلبه الجاف ، وترعرعت البذور المطمورة في أعماقه تحت أكداس اليأس والفشل والتردد ... في هذه اللحظة الحاسمة يسخر القدر سخريته العابثة فيُطلع له في الميدان منافسا قويا لايملك منافسته ، بل لا يملك حتى أن يشفي نفسه منه بالحقد عليه ! إنه أخوه وربيبه « رشدي عاكف » . لقد نقل في هذا الوقت من فرع بنك مصر في أسيوط إلى المركز الرئيسي بالقاهرة . وإنه لا يعلم من أمر أخيه الكبير شيئا . إنه شاب جسور مغامر بل مستهتر ، حاد العاطفة لا يعرف التردد ولا الحذر ... إنه الوجه المقابل لصورة أخيه .

وفي اليـوم الأول يلمح الوجه الجميـل فيستهويه . عندئذ يسلك إلى قلب الفتاة طريقه الباشر في غير ما حذر ولا تردد ، ويقطع الطريق الطويل الذي أنفق أخوه في قطعه أشهراً ... في يوم أو يومين . فيتصل ويصبح حبيبا ومحبوبا ، وفرداً من أسرة الفتاة ... ! وأخوه يتطلع إلى هذا الانقلاب في دهشة بالغة وفي ألم كسير وفي يأس مرير ، وفي إعجاب كذلك بأخيه الجسور !!!

ويقضي الشاب مع فتاته أويقات حلوة ، يسكران فيها بكأس الحب الروية ، ويقطفان مما أجمل زهرات الحب الجميلة ... وذلك ريثما يضرب القدر ضربته الأخيرة ، فيمرض الشـاب المغامر بالسل نتيجة لإفراطه في الشراب والسهر والمقامرة مع رفاق حي السكاكيني . ولكنه يمضي في استهتاره ثقة بشبابه ، وخشية أن يعلم الناس بمرضه ، وأن تعلم من الناس خاصة هذه الفتاة !

وفي اللحظة التي يلمس الحب الحقيقي قلبه العابث ، فيملؤه حناناً ، ويتوجه إلى اتخاذ خطوة عملية حاسمة تكون الأقدار قد ضربت ضربتها الأخيرة فيستشرى الداء في الصدر المسلول ، ويذهب الشاب بعد ليلات مريرة من الضنى والعذاب ، وبعد أن تبين أن فتاته الحبيبة تخشى منه العدوى فلا تراه !

ثم تغادر الأسرة الحي في النهاية ... تغادره وقد فقدت الشاب الصبوح الفتيّ الجريء . وقد انطوى قلب عاكف على جرح جديد بل على جرحين في جرح . والأقدار تســخر سخريتها الدائبة . ودورة الفلك تمضي إلى مداها . كأن لم يكن قط جرح ولا جريح !!!

* * *

حياة هذه الأسرة وجروحها وأحداثها وأحاديثها هي محور القصة ، وقد أدار المؤلف حول هذا المحور حياة أهل القاهرة في هذه الفترة من فترات الهول أيام الغارات ، فعرض منها لوحات بسيطة صادقة تشبه في بساطتها وصدقها فطرة هذا الشعب الطيب الفكه المؤمن المستسلم للقدر ، المتأثر بشتى الخرافات والدعايات .

ومن بين الصور التي عرضها صورة مقاهي خان الخليلي و« غرزه » أيضا . وقد حوت أشكالا وشخصيات لم تكن لتجتمع إلا في مثل هذا الحي الغريب حقا ؛ كما رسم صورة مقاهي حي السكاكيني

و«شلل» الشبان فيه ! وسجل أطوار المقامرين ومجالسهم رسما قويا فى جو مزيج من الجد والدعاية !

ولقد كان هذا الإطار من مكملات الصورة الأصيلة كما كانت الريشة فى يد المؤلف هادئة وئيدة ، فوفق فى إبراز الملامح والقسمات الجزئية ، وساير الحياة مسايرة طبيعية بسيطة عميقة ، متنقلا إلى جانب مهارته الفنية بمباحث التحليل النفسى ، دون أن يطغى تأثره بها على حاسته الفنية الأصيلة . وعاشت فى القصة عدة شخصيات من خلق المؤلف لا تقل أصالة عن نظائرها فى الحياة !

ولكن ليست المهارة الفنية فى التسلسل القصصى ، والبراعة الصادقة فى رسم الشخصيات ، والدقة التامة فى تتبع الانفعالات ... ليست هذه السمات وحدها هى التى تعطى القصة كل قيمتها ... إن هناك عنصراً آخر هو الذى يخرج بالقصة من محيطها الضيق ، محيط شخصياتها المعدودة ، وحوادثها المحدودة فى فترة من فترات الزمان ، إلى محيط الإنسانية الواسع ، ويصلها هناك بدورة الفلك وحلبة الأبد ...

إنك لتقرأ القصة ثم تطويها ، لتفتح قصة الإنسانية الكبرى ... قصة الإنسانية الضعيفة فى قبضة القدر الجبارة . قصة السخرية الدائبة التى تتناول بها الأقدار تلك الإنسانية المسكينة .

هذه أسرة تفر من هول الغارات وخطر الموت من حى إلى حى . فما تنادر هذا الحى الآمن ! إلا وقد أصابها الموت فى أنضر زهرة وأقوم عود !

وهذا رجل شاخ قلبه ، وانطوى على نفسه ، وآوى إلى يأس مرير ولكنه هادئ ساكن . فما يلبث القدر أن يثير فى قلبه إعصاراً على غير أوان ، ويزيح الركام عن البذور المطمورة فى قلبه الهرم ، ليعود فجأة فيقصف الأعواد التى تنبت فى بطء وحذر يقصفها فى قسوة عابثة ، وبيد من ؟ بيد أحب الناس إليه : شقيقه وربيبه ! ولو قد أمهله بضعة أيام لانتهى إلى الواحة الممرعة بعد طول الجدب فى الصحراء . ولو قد تقدم به أياما لأعفاه من إضافة تجربة فاشلة إلى تجاربه المريرة !

وهذا شاب مستهتر عابث ، ما يكاد الحب يقومه ، ويبعث فيه الجد والمبالاة حتى يخطفه الموت ، الذى لم يخطفه أيام العبث والاستهتار !

والأرض تدور ، والزمن يمضى ، والناس يقطعون الطريق المجهول كأن لم يكن شىء مما كان : رفاق الشاب فى قهوتهم يقامرون ويعربدون ، وأصحاب الرجل فى « غرزتهم » يدخنون أو فى قهوتهم يتندرون . والقدر الساخر من وراء الجميع لا يبدو عليه حتى مظهر الجد فى سخريته المريرة . والمؤلف نفسه لا يكاد يلتفت إلى الدائرة الوسيعة التى تنتهى إليها قصته لأنه يلقى انتباهه كله إلى إدارة الحوادث ورسم الشخصيات ! ! !

* * *

ولعل من الحق حين أتحدث عن قصة « خان الخليلى » أن أقول : إنها لم تنبت فجأة ، فقد سبقتها قصة مماثلة ، تصور حياة أسرة وتجمل حياة المجتمع فى فترة حرب إطارا للصورة ... تلك هى قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

ولكن من الحق أيضا أن أقرر أن الملامح المصرية الخالصة فى « خان الخليلى » أوضح وأقوى ، ففى « عودة الروح » ظلال فرنسية شتى . وألمع ما فى عودة الروح هو الالتماعات الذهنية والقضايا الفكرية بجانب استعراضاتها الواقعية ؛ أما « خان الخليلى » ؛ فأفضل ما فيها هو بساطة الحياة ، وواقعية العرض ، ودقة التحليل .

وقد نجت « خان الخليلى » من الاستطرادات الطويلة فى : « عودة الروح » . فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق إلى محورها .

وكل رجائى ألا تكون هذه الكلمات مثيرة لغرور المؤلف الشاب ، فما زال أمامه الكثير لتركيز شخصيته والاهتداء إلى خصائصه ، واتخاذ أسلوب فنى معين توسم به أعماله ، وطابع ذاتى خاص تعرف به طريقته ، وفلسفة حياة كذلك تؤثر فى اتجاهه .

وبعض هذه الخصائص قد أخذ فى البروز والوضوح فى قصصه السابقة وفى هذه القصة ؛ وهى الدقة والصبر فى رسم الخوالج والمشاعر وتسجيل الانفعالات المتوالية ، والبساطة والوضوح فى رسم صورة لحياة أبطاله .

والبقية تأتى إن شاء الله !

سيد قطب

# العقل المؤمن !
## أو الدين من طريق الفكر

### ٢ — المستقر العقلي لعقيدة التوحيد

[شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم ...]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

شغلني شاغل الموت ! موت أمي ، تغمدها الله برحمته ؛ عن الرد على مقال الصديق الأستاذ سيد قطب المنشور بالعدد ٦٤٥ من (الرسالة) ، وقد أعاد به الحديث في قضيتي « العقيدة والتصوير الفني في القرآن » ، بعد أن انقطع الجدل بيننا قرابة ثلاثة أشهر بسبب مرضه عافاه الله .

وكتب الأخ الأستاذ علي الطنطاوي في العدد ٦٤٨ منتصراً لرأي الأستاذ سيد وأسند العقيدة للقلب لا للعقل ، فلم يكن لي بد أن أعجل بالرد على الصديقين ، برغم ضيق النفس والظروف بشواغل الموت والحزن ، وأن أتحدث إليهما في هذا الشأن الخطير في عصر الظمأ الروحي والبحث عن ينابيع لشفاء النفوس من غليله .

وقبل البدء أود أن أنبههما — كما نبهت سابقاً — إلى أن حديثي في عقيدة « التوحيد » بوجه خاص ، وليس في غيرها من شعب العقيدة الدينية . وقد رأيت أن القرآن جادل عنها وأثبتها بضروب الأدلة العقلية التي يكون الفكر فيها هو الأداة الأصيلة ، وطالب مخالفيه بالبرهان . أما الأستاذ سيد فيرى أن القرآن أثبتها عن طريق الوجدان بلا جدل ذهني ، فيأخذ المؤمن ما أتى به في إجمال ويستريح بدون مناقشة على طريقة الذهن المعهودة ، ولم يفرق الأستاذ بين « التوحيد » وغيره من عقائد الإسلام في طرق دخولها إلى النفس ، وقال إن العقيدة تثبت بأطرافها أو تسقط بأطرافها ، وأنها أكبر من الذهن ، ولا بد فيها من المجهول ، وإلا استحالت رأياً .

وأنا لم أجادله في العقيدة على إطلاقها في الإسلام ولا في الأديان الأخرى ، وإنما جادلته ولا أزال في عقيدة « وحدانية الله » ، وطريقة القرآن الذي يعتمد في إثباتها على المعلوم وحده وينأى عن « المجهول » ، لأنها أساس الدين ، فلا يصح أن يكون الأساس غير واضح وضوحاً يحمل العقل على الشهادة : « بأشهد أن لا إله إلا الله » .

والآن ، أحاول مرة أخرى أن أبين أن القضية كما ورد بها القرآن ليست قضية تعتمد على « المجهول » والرهبة منه والتوهم فيه ، وإنما تعتمد على « المعلوم » الثابت بالحس والبداهة والمحاكمة الفكرية بجميع قوى الفكر من الاستقراء والتذكر والتدبر والتمييز والضبط والحكم .

وليست كذلك تعتمد في مبدئها على « السماع » بطريق « الوحي » من عالم آخر ، وإنما تعتمد على الإدراك بالقوى الفكرية الطبيعية في كل فرد صحيح التفكير ، عالم بالكون ، سليم الطبع ، موزون القوى ؛ وعلى التفاعل الفكري بينه وبين هذا الكون الكبير المعظم ذي الطلعة الأخاذة الجبارة ، والقوى الموزونة الدقيقة المتناسقة المنسجمة ، ثم ينزل الوحي الإلهي مما وراء الطبيعة فيؤيدها ويذكر بها ، ويبين ما يلتبس على العامة فيها .

وليست كذلك تعتمد على الجانب « المائع » المتموج المتقلب في الطبع الإنساني ، وهو جانب الانفعال الوجداني بالإثارات الفنية والأجواء الغامضة المسحورة ، والشطحات والخطفات ، وجنون الأرواح بالأسرار ، وانسلاخ القوى ، وتجسيم الخيال ، والاستغراق والهيام في أودية التهاويل والرموز ، وغير أولئك مما تعتمد عليه الوثنيات التي لا ترى الكون ورب الكون بذلك الوضوح الذي يراهما به الفكر المسلم العالم ، وإنما تراهما مبهمين مختلطين غير منفصلين ، فلا يستقيم لها منطق إنساني ولا منطق إلهي ؛ وإنما تلتبس عليها وجوه الكون وتختلط وتتداخل ، فلا ترى الطريق القصير المستقيم إلى الله الواحد لتشهد به شهادة إثبات ويقين جازم يقظ مستنير راسخ في إصرار لا يتزعزع ولا يرتد ، وإنما يأخذها وجدانها إلى التقليد المبهم ، حيث الإثارات الفنية والأضواء والأصداء ونداءات المجهول الهائل الغامض المخيف ، فتنبض قلوبها ولو في بيوت الأوثان ، ذلك النبض الذي يخلع على الأصنام الأوهام والتخييل ، فترقص أشباحها في عيون عابديها ، وتنطق أصواتها في قلوبهم ، ويحبونها كحب الله إن كانوا يعترفون به معها ، أو يخصونها بالعبادة دونه ، ويحيطونها بفلسفات وغرقات

وكهانات ، ويتحرك لها وجدانهم ، ويشمرون نحوها بتبتل ورهبة ، ويؤثرونها على الله ، ويزعمون أنها الحق ، والوحدانية فرية واختلاق وعجب من العجب ... « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عُجاب ! » ؛ « إنْ هذا إلا اختلاق » ؛ « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ؛ « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » ، « ويجعلون لله ما يكرهون » ، « فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » ، بل يصل بهم الحال أن يقاتلوا فى سبيلها فيَقْتلوا ويُقتَلوا وهم يقولون لصنمهم الأكبر « أعْلُ هُبَل ! »

فلو كان « الوجدان » هو مناط الإيمان وطريقه بدون محاكمة عقلية واعتماد على استقراء حقائق الكون فى سبيل الاهتداء إلى التوحيد والإلهية ، فما هو إذاً الفرق بين وجدان الوثنى ووجدان الموحد ، وبين إيمان هذا بالله ، وإيمان ذاك بآلهته وأصنامه ؟ إن الوثنى مؤمن بآلهته بحرارة وجدانية ، ويقاتل عنها بإخلاص ، والموحد كذلك مؤمن بالله ويقاتل فى سبيله . فأيهما على حق ، وأيهما على باطل ، إذا كان الاتجاه فى الإيمان إلى « المجهول » ، وإذا لم يكن التحاكم العقلى الاستقرائى إلى الكون هو الميزان والفيصل ؟ وما هى أدوات ذلك التحاكم العقلى غير القوى التى يوجب القرآن وعلم النفس الحديث استعمالها كالاستقراء أو الاستعراض والاستنباط والتذكر والتدبر والتفكر والتمييز والحكم ؟ تلك القوى الهادئة الفاصلة المضيئة التى تضىء للروح طريقها إلى الحق ؟

وهل بأحد حاجة إلى أن أنبه إلى أن كثيراً جداً من آيات القرآن تحض على التذكر والتدبر والتفكر والاستقراء والفهم والتمييز واستعمال الحكم ؟ وهل يحض القرآن على التهدى بقوى الفكر إلا وهى أسلحته وموازينه ؟ وهل يسكن قلب امرئ ممن يعتد بهم ووجدانه عقيدة أساسية إلا بعد أن تمر على عقله ويقتنع بها ؟

إن أصحاب محمد حينما تركوا عقائدهم وعقائد آبائهم الوثنية واتبعوا الوحدانية معه ، وتحملوا من أجل الإيمان بالله وحده ألواناً قاسية من الاضطهاد والعذاب ، لم يكونوا أطفالا ، وإنما كانوا مفكرين ارتضوا الوحدانية على الوثنية بعد أن أيقظ قوى أفكارهم موقظهم العظيم ، فوازنوا بين الدينين ، وحكموا واختاروا وتحملوا التبعات .

ثم ما هى حجة الله فى مؤاخذة المشرك حين قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » ما دام ذلك المشرك يجد فى قلبه وعواطفه وهواه ميلا لعبادة الشركاء والأصنام تماماً ، كما يجد الموحد هواه وعواطفه فى عبادة الله ؟

وكيف يهدد الله محمداً رسوله بإحباط عمله وتعذيبه لو فتن ومال فى قوله : « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت لَيحبَطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين » ؛ وفى قوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا وكيلا » ؛ أليس ذلك لأن الموقف الفكرى هنا فى عقيدة التوحيد موقف واضح حاد صارم ! لا يحتمل الشبهة ولا الميل يسرة أو يمنة ، لأنه إزاء قضية الكون كله وأعظم شئونه ؟

فهو حقيق أن يقول القرآن فيه : « ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ! » يا للإهدار والإهوان والتحقير والتضييع والتحطيم ! يا لغضب الملك الحليم الجبار الرحيم على من لم ير تفرده بعرشه العظيم !

فهل كانت هذه الغضبة الإلهية إلا لأن المشرك ضيع الميزان الدقيق الهادىء الحر الذى وضعه الله بين قوى فكره ، ولأنه سار وراء الانفعالات التى لا تستند إلى نقط ارتكاز واضحة ؟

وقد قلت فى مقال سابق : إن كان الأستاذ سيد يريد من الوجدان تلك القوة التى تعتمد على البداهة والحقائق الخالدة والإدراك الكلى ومدركات الحس ، فهو بعينه القوة التى يطلق عليها القرآن العقل والفكر . والخلاف حينئذ يكون بيننا على الاسم ، والأولى أن نستعمل ما استعمله القرآن ، وأن نعدل فى هذا المقام عن التفريق بين المنطقين ، وعن استعمال « الوجدان » الذى قد خصصته الاستعمالات الحديثة بمنطقة الانفعالات للاثارات الفنية كالموسيقى والخطابيات والشعر والمشاهد الرائعة والأصداء والأضواء والنسمات الشذية وغيرها مما يثير عالم القلوب تلك الثورات المبهمة الطليقة .

وإن كان يريد به ما يسمى الآن « الضمير » ، وهو تلك الاستجابة الطبيعية للجمال والخير بدون تعليل ، والنفرة من الشر والقبح بدون تعليل كذلك إلا لأن الطبع هكذا ، فذلك ليس حديثه هنا وإنما في مجال الأخلاق والسلوك . ونحن هنا إزاء قضية التوحيد ، تلك القضية الفكرية التي تأتي في مرتبة تالية بعد إثبات وجود الخالق المدبر بالبداهة والفطرة التي من طبيعتها أنها لا ترى حدوث كائن ما بدون سبب ، ثم يتساءل الفكر : هل هذا الخالق المدبر متعدد أو متوحد ؟ ثم يصل إلى « التوحيد » ويوقن به بعد الاستقراء والتتبع « لمعلومات » الكون وإدراك ما فيه من وحدة التصرف وتوازن القوى المادية العارمة المجنونة العمياء والالتئام والتناسق الدائم بينها « فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ » ؛ « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

ويستلزم الأمر أيضاً أدوات من المعرفة بطبائع التعدد في الأيدي المتصرفة ، وبالتجارب الأزلية النفسية والاجتماعية بين الأمثال والأشباه من الرؤساء ، وباستعراض مقالات الأديان الوثنية والمعددة للآلهة وما حولها من الأساطير وأحاديث الصغارات والطفولات في الحلوم والتصرفات ، والمعارك الدائمة بين آلهة الخير وآلهة الشر ، وتفاوت القوى والمواهب بينهم جميعاً ، وانتهاء آفاقهم جميعاً إلى أكبرهم يخضعون له ويستمدون منه ولا يستطيعون منه مهرباً ، كما كان الحال مع آلهة اليونان والرومان ، إذ ينتهون إلى (ذيوس) و(جوبيتر) ؛ وكما قال القرآن بتلك الحجة العقلية الدامغة : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا » ؛ « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

إن « الوجدان » بمعناه الاصطلاحي الذي شرحناه لا يفصل في هذا المعترك الزاخر ، لأنه منطقة التبتل والخشوع والاستسلام للإله الواحد أو الآلهة المتعددة بعد انتهاء المعارك الفكرية حولها .

وهو يعمر قلوب جميع المتدينين موحدين ومعددين ووثنيين ، فكلهم يبكون ويخشعون في معابدهم وفي حالات هيامهم الروحي . هؤلاء يتوجهون لمعبوداتهم المتعددة ، وأولئك لمعبودهم الواحد ... فما الذي يجعل القرآن يقول عن المؤمنين بالله : « أولئك حزب الله » ، وعن الآخرين : « أولئك حزب الشيطان » ، لولا أن منطقة العقل الوزان هي المحكمة وهي المسئولة ؟

إنني قلت : إن جدل القرآن في مسألة التوحيد جدل عقلي إثباتي بالبراهين الاستقرائية والتطبيقية والعملية والتاريخية ، فساق براهينه وطالب مخالفيه بمثلها : « قل هاتوا برهانكم » ؛ « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » ؛ « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أروني ما ذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات ، إيتوني بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم » .

وقد بينت ما تنطوي عليه آيات التوحيد في سورة الأنبياء من ضروب الأدلة العقلية جميعها بما لا يدع مجالا للشك في أن القرآن جادل عن التوحيد خاصة جدلا ذهنياً عقلياً ، ولكن بأسلوبه الأدبي الفني المتفرد الذي يحرك الوجدان أيضاً بجماله بجانب الحركة العقلية بحججه . ولكن الأستاذ سيدبقول : إنه لا يزال عند رأيه في أن هذه الآيات ساقها القرآن مجملة يأخذ منها المؤمن ما يأخذ بدون مناقشة ، لأنها لا تحتمل المناقشة الذهنية على طريقة الذهن المعروفة .

ويكرر الأستاذ اعتراضه بقوله : ما بال كثرة المؤمنين من الجماهير تؤمن بدون حاجة إلى من يفلسف لها العقيدة لو كان الأمر في العقيدة يحتاج إلى التفكير الذهني . أو لا يعلم الأستاذ أن الجماهير تسير وراء تقاليد بيئتها بدون تفكير في أغلب الشئون ؟ فإن كانت البيئة وثنية ، فهي معها ، وإن كانت موحدة ، فهي معها ، فلا يعتد القرآن بها ، ولا يحتج بسلوكها وشهادتها ، وإنما بشهادة أولى العلم : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم » ؛ « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » ؛ « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

وقد نبهت في مناسبات شتى إلى ما في القرآن من تفرد بأنه يقف العقل البشري عند حدوده ، ولم يكلفه أن يسبح في غير عالمه ، ولم يتحدث عن « الله » إلا للتعريف بصفاته وصنعه في الطبيعة التي هي مدرسة العقل ومدرجه وأداة تكوينه ومآخذ أحكامه . ولم يعبر عنه إلا بـ « الذي » خلق ، « الذي » رفع السموات « الذي » له ما في السموات وما في الأرض ... هكذا بالاسم الموصول المبهم بنفسه الموضح بصلته ، وصلته دائماً من « معلومات » الفكر و« بداهاته » و« مدركاته » الحسية والمعنوية ...

ولم يتحدث عن كنه الله إلا مرة واحدة على سبيل التمثيل ،

وهي « الله نور السموات والأرض » ، ولـكنه ليس تحديداً لـكُنْه الذات العليا ، ولـكنه تقريب وتمثيل : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى » ؛ فالنفس تأخذ من هذا التمثيل أن الله هدى وجمال ولطف وإشراق غير محدود .

ووصف القرآن لله وصف منتزع من الطبيعة : كتاب الله الصامت ؛ فما أثبته كلام الله الناطق له هو بعينه ما أثبتته الطبيعة كتابه الصامت ؛ فلو لم يكن القرآن كتاب دين موحى به ، لـكان كتاب مذهب عقلى يصف « الذى » خلق هذا الـكون بعد أن استقرأ أعمال يده وعلمه وقدرته فى كل كائن من كائناتها.

فهو « الخالق البارئ المصور » : لأن أعمال الخلق والبرء والتصوير فى الطبيعة تشهد بذلك ؛ وهو « الرحمن الرحيم » : لأن يده دائماً مع الضعف والعجز بين جبروت المواد والقوى العمياء ، حامية حافظة لطيفة رفيقة ؛ وهو « الملك » : لأننا لم نجد لغيره شركا فى السموات والأرض ، ولا قطميراً ولا نقيراً ... وهو « القدوس » : لأنه الـكمال المطلق والوجود الـكامل المنزه ، الذى يجده العقـل وراء ما يراه فى الـكون من نقص ؛ وهو « السلام » : لأنه لم يجعل العالم جحيما ودماراً وآلاماً وقلقلة واضطراباً وصداماً لا يسمح باستقرار الحياة ، ولا باستقرار نظام الأجرام السماوية والأوضاع الأرضية ، وهو أمان الخائف اللائذ الهارب من الشرور والقبح والآثام . وهو « المؤمن » : لأنه مُصِر ثابت على اتجاهه بالـكون إلى غايات واحدة أزلية هو أعلم بها ، لم يجعل الشر خيراً ، ولا الخير شراً ، ولم يقلب موازينهما ؛ فالحياة والجمال والخير والرحمة والعلم من حقائق الـكون العليا الخالدة ، وسننه التى لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ، فالله مؤمن بها ؛ وهو « المنعم » : لأن ما فاض منه على الـكون من بدئه للآن من فيوض النعم المتوالية والجمال والخير شىء عظيم ! وهو « شهيد حفيظ » : لأنه مع كل صغيرة وكبيرة فى الـكون لا يضل ولا ينسى ؛ وهو « جبار قهار » : لأنه يسوق الـكون الأعظم الهائل بعصاه ، ويمسكه فى قبضته ؛ وهو « حليم ستار غفور » : لأنه يتيح الفرص للخارجين على الحق والصلاح أن يرجعوا ، ويمهـل ويملى ويعفو عن كثير من نقائص الطبع البشرى ... إلى آخر الصفات الحسنى التي ينتزعها الفـكر من الـكون ، ويترجمها بألفاظ تكون نتيجة لذلك التفاعل الخفى بين الطبع البشرى مع جمال الـكون العبقرى وجلال طلعته الأخاذة !

فهل ترى القرآن أتى بشىء عن الله خارج عن حدود الطبيعة لم يثبته العقل ؟

إن الفكر البشرى فرض « الأثير » ، وحدده بآثاره وأثبته بخواصه ، مع أنه لا يُرى ولا يحد ، وسلم له العلم بإثبات هذه الصفات ، وكذلك يفعل الفكر فى إثبات صفات بارئ الـكون ، كما تتجلى فى الطبيعة ، فينبغى أن يسلم له العلم بذلك ، بدون حاجة إلى إدراك كنه ذات الله ، ولا كيف تتعلق صفاته بها ..

* * *

ذلك أمر بمكان عظيم من الاعتبار ، ينبغى أن يفهمه المسلمون غاية الفهم ، ويقوموا له بحقه من الإذاعة به ، حتى يعلم العقليون والعلماء — وهم قادة الإنسـانية فى الأمم الحية — أن القرآن كتابهم ، وطريقته فى الاهتداء إلى الله علمية فى موضوعها وفى نتائجها وفى غايتها ، فلا يسلكوه مع غيره ، ولا يأخذوا عقائده مغمضين ، لأنه هو ينهى عن ذلك : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا » ؛ « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعمياناً »

أتراني أبنت عما يملأ نفسى فى هذه المسألة للصديقين ؟

هذا ، وإن فى النفس لبقية حديث

عبد المنعم خلاف

بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية :

# تعميم الثقافة الإسلامية

## للأستاذ على الطنطاوى

أحسب أن هذا الفصل لن يجوز إلى مصر ويكون فى أيدى القراء إلا بُعَيْد اليوم الذى يتخذه المسلمون عيداً ، يذكرون فيه هجرة سيدهم وسيد العالم محمد صلى الله عليه وسلم ويذيعون فيه سيرته وشمائله ، وتروج فيه سوق المباحث الإسلامية ، وتجرى بها أقلام الكتاب ، وتمتلئ بها صحف المجلات ، ولن أعود فيه إلى حديث كتاب الدين الإسلامى الذى طالما تكلمت فيه فى الرسالة وأفَضْت ، وبدأت وأعدت ( انظر أعداد ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ) فكنت كَنافخٍ فى غير ضَرَم ، وصارخ فى وادٍ ، وإن الصارخ فى الوادى ليسمع رَجْع الصوت ، ونافخ الرماد ينثر الغبار ، ومقالاتى لم تحرك من هؤلاء ( العلماء ... ) ساكناً ، ولم ترجع لها الأيام صدى ، مع أن المقبرة ... تردّ الصدى على من يصرخ بين القبور !

ولكنى متكلم اليوم فى تعميم الثقافة الإسلامية ، تعميما يعرف به الناس ( أعنى المسلمين ) دينهم ، ولا يكون مسلماً حقاً من لم يعرف دينه ، ومن يكتفى من الصلة به بأن أبويه كانا مسلمين ، وأن اسمه محمد أو على لا جورج ولا طنّوس ... ولا يكونه أبداً إلا إذا عرف حقيقة الإسلام وألمّ بعلومه ، وعلم الحلال من الحرام ، ولا يكون ذلك إلا فى المدارس والمساجد ، فالمدارس للناشئة والمساجد للعامة ، وكلاهما اليوم فى قصور عن هذه الغاية بيّن :

أما المساجد فليس تخلو من أثارة علم ، هى بقية من ذلك الفيض العظيم ، كالذى يبقى فى الوادى من ماء السيل ، ليس فيه عوضٌ منه ولكنْ فيه دليلٌ عليه . ولقد غبر دهر كانت فيه المساجد بمثابة جامعات اليوم تدرّس فيها كل معضلة ، ويقرأ كل علم حتى الطب . لا أمثّل على ذلك بمساجد الكوفة والبصرة قديماً ، وبغداد والفسطاط ، فذلك شيء مستعلن خبره متواتر مشهور ، ولكن أمثل بما كان يرى من حلقات العلم ، من قريب ، فى مسجد دمشق ومساجد القاهرة وبغداد وما يُرى اليوم فى النجف من حلق كثيرة يدرس فيها مذهب القوم ، وتقرأ فيها العلوم على الطريقة التى يرتضيها لأنفسهم علماء تلك الديار ومتعلموها ، فلم يبق من ذلك (حاشا النجف والأزهر) إلا حلقات قليلة ، ومجالسُ وع ، كثيراً ما يتولاها غير أربابها ، ويتصدّر فيها من لم يكن يطمع فى الجلوس فى حواشيها ، يُلقى فيها ما يجتمع على إنكاره الدين والعقل والذوق ، من التحريف والتخريف والباطل الموضوع والسخيف الواهى ، ولقد كان تدريس (القبة) فى جامع دمشق لأكبر علمائها ، وآخر من تولاه البدر الحسنى رضى الله عنه ، فصار اليوم لكل ذى عمامة مكوّرة ، ولحية مدوّرة ، وصوت يصك الآذان !

وكذلك اختفت من المساجد حلَق العلم الحق ، وتوافرت فيها مجالس الوعظ الباطل ، والقصص الموضوع ، ولدينا عدد عديد من العلماء الذين نصبتهم الحكومة مدرسين للعامة ، فلبثوا فى بيوتهم ما يراهم من أحد ، اللهم إلا ( أمين الصندوق ) أول يوم من الشهر والحاكمون ذوو السلطان فى كل عيد مهنئين ، وكل سفر مودعين ، وكل قدوم مُسلّمين ، وعندما تشغر ( وظيفة ) ليقاتلوا عليها ، ويحاربوا دونها ...

* * *

أما المدارس فحديثها أطول ، والبلاء بها أشد ، وهى على ضروب :

فضرب منها لأناس ليسوا منا ، ولا لسانهم بلساننا ، ولا دينهم من ديننا ، قدموا علينا أرضنا ، وأخذوا أبناءنا ، ليخرجوهم أعداء لنا ، ويجعلوا منهم أداة من أدوات ( التمدين ) التى رأينا أشكالا منها مؤذية وألواناً ... منها العازارية والفرنسكان والفرير واللاييك والأميركان ، وواضح لا يحتاج إلى إيضاح أن هذه المدارس لا تدرس الفقه ولا الحديث ولا تعنى بعلوم اللسان . وأنها أنشئت لغير هذا ، وما كتمت منهجها ولا أخفته ، ولا خدعت الناس عنه ، ومع ذلك نجد تجاراً مسلمين ، بل وعلماء يدعون أنهم الهادون المهديّون ، الصالحون المصلحون ، قد أرسلوا إليها أبناءهم وبناتهم ... وقد ظهر بعد أن أغلقت هذه المدارس — والحمد لله — أن أكثر تلاميذها ، بل جمهورهم من المسلمين !

وضرب منها لأناس من عامة هذا الشعب ضاقت بهم سبل العيش فلم يجدوا لهم طريقاً إلى الكسب، فاستأجروا بيوتاً أو وضعوا أيديهم على غرف مظلمة فى مساجد مهجورة، فسموها مدارس، وسمّروا أخشاباً بأخشاب فدعَوْها مقاعد، وأجلسوا عليها أغْلِمَةً جعلوهم تلاميذ، وتمت الرواية لما صاروا هم المعلمين ... وهذه المدارس (المسرحية) لا تصنع فى نشر الثقافة الإسلامية شيئاً لأنها لا علم فيها أصلا وهى آخذة بالزوال ...

وضرب منها مدارس أهلية كبيرة، كثيرة التلاميذ والمدرسين ضخمة البناء يديرها أفراد أو جمعيات، ومنها ما يقوم عليه نساء ... منها الإسلامى وهو قليل محدث كالكلية الشرعية فى دمشق وغير الإسلامى وهو كثير قديم، وما هو ضائع المنهج، ضالّ عن الطريق لم يتخذ بعدُ له وجهة يوليها، وما فيها جميعاً (إلا ذلك المحدث القليل) ما يصنع فى نشر الثقافة الإسلامية شيئاً ...

وضرب منها وهو أعظم ضروبها كثرة مدارس، وعمق أثر، قد أنشئ بأموال الأمة لتعليم أبنائها، وتخريجهم وإعدادهم إعداداً، يكونون معه أدلاء لها فى طريق نهضتها، وقادة لها إلى ما تحاول من مجد وعز وكمال، ولا يتم ذلك إلا بوقفهم[(١)] على تاريخهم وتعليمهم علوم دينهم ولسانهم، وإفهامهم أن هذه الأمة مقدور عليها أنه لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وما كان صلاح أولها إلا بالإيمان الصحيح والخُلُق المتين، فإذا أضعناهما أضعنا المعراج الذى نعرج عليه إلى ما نريد من ذرى المعالى ... وسرنا فى طريق الحياة بساقين جذماوين، نزحف زحف المُقْعَد الزَّمِن، ونتدحرج تدحرج الكرة، فنتمرغ فى الوحل، ونحن نحسب أنا نرقى فى سلاليم المجد والعلاء، وإذا أنت فتشت عن هذين الجوهرين الكريمين: العربية والإسلام، فى المدارس الرسمية لم تلْقَ منهما إلا ما تلقى من حبات الذهب فى تل الرمل، ومن حرّ اللآلئ فى أصداف البحر، ووجدت الدروس فى هذه المدارس على نوعين: نوع واحد منهما له المحل الأعلى، والقدر الأكبر، وعليه مدار جهد المعلم والطالب، وفيه يكون الامتحان وما يعقب الامتحان من الارتقاء أو الرسوب، وقد يدخل فى هذه الدروس الغناء واللعب (أى الرياضة البدنية) والتصوير ولكنه لا يدخل فيها الدين، ولا تجد فى قطر من هذه الأقطار العربية المسلمة، امتحاناً من الامتحانات العامة (الابتدائية أو الكفائية أو الثانوية) يكون فيه لدرس الدين خَطَر، أو أثر فى نجاح الطالب أو فشله.

على أن تسمية هذه العلوم بدرس الدين أول الوهن، وليس الدين علماً واحداً ولكنه علوم جمة، ومعارف شاملة، عاش عليها العقل البشرى قروناً طوالا، منها الفقه فروعه وأصوله والتفسير والحديث والكلام وعلوم أخرى عدّ منها طاشكبرى زاده فى كتابه الجليل (مفتاح السعادة) ستة عشر وثلاثمائة علم ... لكل علم منها أبواب وفصول، وفى كلّ كتب لا يلحقها الحصر، وفى كشف الظنون للحاج خليفة وصف لستة عشر ألف كتاب هى التى رآها المؤلف ووقف عليها بنفسه فى عصر من عصور الانحطاط ... ولقد سبق أن قلت، إنك إذا نظرت إلى ما ثبت من كتبنا على التحريق والتخريق والتغريق والتمزيق، وما خلص إلينا مما أصاب المكتبة الإسلامية من النكبات الكبار، والأحداث الجسام، وحسبك منها مصيبتا هولاكو وفرديناند، لرأيت شيئاً يهولك ويعجزك عدُّه كما أعجز المطابع إلى اليوم طبع بعضه، وهى لا تنى فى الشرق والغرب تعمل دائبة عليه، وما علمنا لأمة من أمم الأرض كلها مثل هذا النتاج العلمى أو قريباً منه، ولا مثل نصفه ولا ربعه ...

أفليس من أعجب العجب أن هذا التراث لا يساوى فى رأى القائمين على هذه المدارس علماً واحداً من علومها كالجبر مثلا أو الفيزياء أو ... الرياضة البدنية، ولا يجودون عليه بسبع ساعات فى الأسبوع أو ثمان ... ولا يجعلونه مدار خيبة فى البكالوريا أو نجاح، وأعجب منه أن تاريخنا الذى يتصل أشد الاتصال بالتفسير والحديث والرواية وعلم الرجال يتولى تدريسه فيها من لا بَصَرَ له بهذه العلوم ولا علم له بمصادرها الأصيلة ولا وقوف له عليها، ولا قدرة له على فهمها، ومن لم يحصله إلا على أيدى الخصوم الذين يكيدون له ويدسون عليه الدسائس، فهو يحملها فى فكره كما يحمل البعوض جرثومة الملاريا ليلقيها فى أدمغة الطلاب الأصحاء فيفسدهم بها، حتى رأينا جماعة من غير ملتنا وديننا درسوا (فى عهد الإفرنسيين!) تاريخنا، أفسمعت بأعجب من تدريس الخواجه ميشيل والخواجه توما، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر؟ وأبلغ منه فى العجب أن الفرنسيين وصل بهم الأمر ... أن بعثوا بلبناتنا

---

(١) كذلك، أما أوقفه على الشىء فانها لغة رديئة.

# في مصر فلســـفة

## أصل الوجود

للأستاذ نقولا الحداد

في مقال بهذا العنوان الكاتب الكبير الأستاذ العقاد في العدد ( ٦٤٧ ) من الرسالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر المنصرم تنويه باسمي الضعيف . هو تنويه بنعت من النعوت الطيبة التي يتصف بها الأستاذ العقاد .

وكانت إشارته لي في معرض الفلسفة الذي استفاض قلمه فيه وهو يتعجب من أن طلاب الحقيقة لا ينظرون إلى الفلسفة كثقافة حيوية » ولا يحجمون عن نعت ( الفلسفة القديمة ) باللغو الفارغ ( كما فعلت أنا ) حين جرى البحث في صفحات الرسالة عن وحدة الوجود . فضربت المثل على سخف المذاهب الفلسفية القديمة كقول فيثاغورس: أن العدد هو سر الوجود . وأن النسبة بين الأشياء هي نسبة بين الأعداد ، ( كيف هذا ؟ ) .

يقول الأستاذ : « قال فيثاغورس هذا قبل ٢٥ قرناً . فكان فرضه أقرب إلى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس إلى سنوات .

« قاله فيثاغورس حين رأى أن الأوصاف كلها تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة أو ليونة أو وزن أو ما شابه هذه الأعراض الكثيرة إلا العدد ؛ فإنه ملازم بكل موجود فرداً كان أو أكثر من فرد ، وكاملا كان أو غير كامل ؛ وأن الفروق بين الأشياء هي فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب الأعداد . وأن الكون كله دور موسيقي هائل يدور على قياس

---

يأخذون لغتنا ، عن المسيو ( مارسيه ) في باريز ، كأن باريز بادية البصرة وكأن مارسيه من فصحاء بني عقيل ... أو كأنه الأصمعي أو الخليل !

لا رحم الله ذلك الزمان ، ولا أعاد مثله علينا أبداً ...

* * *

أما إن الحديث جد ، وإنه ليس بين شبابنا وبين أتباع الإسلام إلا أن يعرفوه ، لأنه قوي أخاذ ما عرفه أحد على حقيقته وقدر إن كان منصفاً على مخالفته ، ولكن المشكلة هنا : كيف السبيل إلى أن يعرف الشبان المسلمون ما هو الإسلام إذا كانوا لا يستطيعون النظر في كتبه ولا يعرفونها ، وإذا كانوا يرون أكثر المتزيين بزي علمائه جامدة أفكارهم ، يقولون بألسنتهم ما لا يحققونه بأفعالهم ، يأمرون الناس بالعزة ويذلون لأهل الدنيا ، ويزهدونهم فيها ويتسابقون إليها ، ثم إنهم بعد ذلك منقطعون عن الشباب ، لا يلقونهم ، وإن لقوهم لم يستطيعوا أن يفهموهم ، وكانت المساجد مقفرة من دروس العلم ، وكانت المدارس معنية بكل شيء إلا الدين ؟

السبيل هو هذا :

إنها قد نشأت فينا طبقة من العلماء ، ممن حصل العلم في المدارس الحديثة ولكنه درس مع ذلك علوم الدين ووقف عليها ، أو درس الدين وعلومه على الطريقة القديمة ولكنه ألم بالثقافة الحديثة ودرسها كما يدرسها أهلها ، وأنا أعرف على هذه الصفة كثيرين في الشام ومصر . وعلى هذه الطبقة يقع الواجب الأكبر في الدعوة إلى الله ، والعمل على تعميم الثقافة الإسلامية ، بالإلحاح على مديرية الأوقاف وعلى مقام الإفتاء بوضع منهج عملي للتدريس والوعظ في المساجد ، وأخذ المدرسين بالشدة لينفذوه ويسيروا عليه ، والإلحاح على وزارة المعارف بالعناية بالعلوم الإسلامية في المدارس ، ومنحها الساعات الكافية لها ، وإدخالها في مواد الامتحانات المدرسية والامتحانات العامة واختيار المدرسين الصالحين لتدريسها — ويعمل كلٌّ على ذلك بلسانه إن كان خطيباً ، وبقلمه إن كان كاتباً ، وبقوته كلها .

فإن لم يفعلوا فليعلموا أنه سيأتي يوم قريب لا يبقى فيه من يدري ما هو الإسلام ، ويكون حالنا كحال ذلك الجندي التركي الذي لحق في المعركة بلغارياً ، فلما تمكن منه ووضع سنان البندقية على عنقه ، قال له : أمان أنا في عرضك . فقال له : أسلم ! فوجد البلغاري الفرج ، وقال : إني أسلم فماذا أقول ؟

فتحير التركي وقال : ( بِلْمام والله ) !

أي لست أدري !!

( دمشق ) **علي الطنطاوي**

منسجم كما يدير العازف الماهر ألحان الغناء .

« وإذا قال فيثاغورس هذه المقالة قبل ٢٥ قرناً ، فليس من حقه أن توصف مقالته بالفراغ وهي أملأ من فروض العلماء بعده في معنى الوجود وفوارق الاجسام ، وهي على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء أن أصل المادة أثير » .

انتهى بعض كلام الأستاذ ، وقد أوردته هنا بنصه لكيلا يضطر القارىء أن يعود إلى عدد سبق من المجلة .

* * *

ظهر فيثاغورس فيلسوفا منذ ٥٣٢ سنة قبل المسيح وله تعاليم صالحة وبعض نظريات قيمة وأهمها في الرياضيات . فهو أول من اكتشف أن مجموع مربعي ضلعي المثلث القائم الزاوية يساوي مربع وتر المثلث . وهي قضية رياضية عظيمة الشأن ، وقد بنيت عليها نظريات وعمليات رياضية مختلفة وكانت منشأ حساب المثلثات .

ولكن نظريات فيثاغورس في أصل الوجود أو الهيولى أو المادة المحسوسة نظريات سخيفة جداً ذهب إليها بناء على ظاهرات سطحية لا نعلم جيداً كيف استنتجها منها .

أمعن فيثاغورس في الحساب الرياضي وبرع فيه في عصره حتى أن مدرسته كان قوام منهاجها الحسابات الرياضية . وقد تملكت لبه حتى اعتقد أن أصل الأشياء العدد . وصار يعلل كل ظاهرة في الوجود بالعدد . تسلط العدد على لبه . حتى صار العدد عنده مبدأ الموجودات .

وكان من مكتشفاته القيمة أنه كشف نسب الأنغام الموسيقية في الوتر المشدود ، وأن هذه النسب تتوقف على طول الوتر ومقدار شده . وكانت هذه النظرية من جملة أسباب اعتقاده أن الأعداد أصل كل شيء ، وأن عناصر الأعداد علة عناصر الأشياء . وأن السماء بما فيها من أجرام هي سلم موسيقي « عددي » . ومن ثم تحول تلاميذه على عدد سبعة في تعليل ظاهرات الوجود لأن عدد ٧ هو عدد أنغام السلم الموسيقي ، وعدد الكواكب المتنقلة ، وعدد السبع الطباق ، السموات السبع ، وعدد أيام الأسبوع الخ .

وجعل فيثاغورس وتلاميذه أهمية للعددين ٣ و٤ ومجموعها ٧ للاعتبارات التالية :

أولا : أن الخط مجموعة نقط متتابعة . والسطح مجموعة خطوط متحاذية ومنها المربع . والجسم مجموعة سطوح متقاطعة ، ومنها المجسم والمكعب .

وثانيا : أن الوتر والشفع عنده هما المحدود واللامحدود ، وهما يعينان المكان ؟؟؟ والإثنان هما الخط ، والثلاثة هي السطح . والوتر والشفع . والمحدود واللامحدود هما المطاقان الأولان من المتضادات العشرة الأساسية . والثمانية متضادات الباقية هي : واحد وكثير ، ويمين وشمال ، وذكر وأنثى ، وسكون وحركة ، ومستقيم ومنحن ، ونور وظلمة ، وخير وشر ، ومربع ومستطيل .

ويظهر أنه غفل عن وراء وأمام ، وفوق وتحت ، وبرد وحر ، وجبل وواد ، ونوم وصحو ، وضحك وبكاء ، إلى عشرات الألوف من المتضادات ؛ لأن كل صورة من صور الوجود لها مقابل .

فالكون عند الفيثاغورسيين هو في تحقيق هذه المتضادات ، والواحد هو العقل لأن الواحد لا يتغير ، والإثنان الرأي لأنه غير محدود ولا مقرر . والأربعة هي العدالة لأنها أول عدد مربع هو حاصل متساويين . والخمسة هي الزواج . وإن كنت شاطراً فافهم هذه السخافات .

إذا سألت فيثاغورس نفسه أن يفسر هذه التخريفات فماذا يقول ؟ وإذا كان فيثاغورس يعتبر فيلسوفا لأجل هذه الفلسفة « العددية » فالفلسفة إذاً بله وهبل .

ألا يرى إنسان اليوم أن هذه النظرية في الطرف الأقصى من السخف لأنه لا يجد لها تفسيراً معقولا ؟ وأما تفسيرها بأن الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون وصلابة وليونة وثقل الخ إلا العدد فانه ملازم لكل موجود ، فهذا التفسير إغراق في الغموض لا تفسير ، لأنه يزيدنا حيرة في غير المعقول حين نحاول أن نجعله معقولا ؛ ولا سيما لأن الثقل واللمس وغيرها كثير من الأوصاف لا تفارق الموجودات .

إذا جردنا المادة من الأوصاف المذكورة وغيرها أي من اللون والصلابة والثقل و و و فماذا يبقى منها ؟ لا يبقى منها شيء لامادة ولا عدد . نحن نعرف المادة بصفاتها وأعراضها التي نحس بها فاذا زالت هذه زالت المادة وزال الوجود .

وأما العدد فليس خاصة من خواص المادة ؛ بل هو خاصة من خواص عقلنا . فنحن نتصرف بالعدد من غير أن يكون لدينا

المحدود . جميع الرياضيات الحسابية إنما هي قناعة عقلية . ولا تعتبر ذات قيمة إلا حين نطبقها على الوجود المحدود . تكون حينئذ رياضيات تطبيقية .

نجل الأستاذ الكبير عن الجد فى قوله : « إن الأجسام نسب بين أعداد ، وإن الفارق بينها فارق فى هذه النسب دون غيرها ، وأن التناسق فى هذه النسب أصدق من أجرام المادة الملموسة باليدين ، وإن الأصح فى تركيب الذرة أن يقال إنه « عددى » لا أنه « مادى » ملموس .

نعم نجلّ الأستاذ عن الجد فى هذا القول لأنه غير مفهوم وإن فُهم فغير معقول ولا هو منطقى .

ويعز على الأستاذ أن توصف مقالة فيثاغورس بالفراغ لأنها فى رأيه « أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود » .

وأغرب من هذا قوله : « إنها وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء إن أصل المادة الأثير » .

إذا ثبت ، وهو معقول وراجح ، أن الأثير هو أدق جزئيات المادة فيكون العلم قد أبلغنا إلى كنه الهيولى . وأما « العدد » إذا حسبناه أصل الوجود فيطرحنا فى هاوية من الجهل لا قرار لها.

إن العلم الحالى قربنا جداً إلى حقيقة كنه الهيولى التى هى أصل المادة . فقد شرّح الجزىء إلى ذرات ، ثم حلل الذرة إلى كهارب وكهيربات ( بروتونات وألكترونات مكهربة ) . ثم فتت هذه إلى فوتونات غير مكهربة ، ولكنها حاملة الطاقة . والفوتونات فى رأى بعض العلماء الأساطين هى ذريرات أثير .

واختراع القنبلة الذرية حقق النظرية الكهربية ( نسبة إلى كهرب ) الألكترونية وأكد صحتها . فلا بدع أن تكون الفوتونات هى ذريرات أثير . بنظرية الالكترون هذه فسرنا الألفة الكيمية Affinty ، وكم الكفاءة الكيمية Valance ، وسر النظائر الكيمية Esotaps ، وغير ذلك من الظاهرات الطبيعية التى كان العلم حائراً فى تعليلها . فلذلك لم يبق شك فى صحة هذه النظرية الألكترونية .

أبعد هذا يصح القول بأن الفلسفة العددية الفيثاغورية أدق من قول العلماء إن أصل المادة الأثير ؟

أين فلسفة فيثاغورس من علم اليوم ؟

كان فيثاغورس وسلفاؤه وخلفاؤه فلاسفة عصرهم المتمادى فى القدمية لأن ما أدركوه كان جل ما أذن لهم تفكيرهم أن يدركوه وأن يفسروه من ظاهرات الوجود وهم ضمن جدرانهم لا يختبرون ولا يمتحنون . ولكن فلسفتهم لدى علم اليوم كالأكمة المنخفضة فى البطحاء لدى الجبل الأشم . نحتقر علم اليوم إذا قارناه بفلسفة الدهر المظلم .

الحقيقة تظهر عن يد العلم لا عن يد الفلسفة . الفلسفة تتلاشى رويداً أمام العلم ، كما يتلاشى الليل أمام الفجر ، والفجر أمام الشروق .

أجل : فى مصر ، والحمد لله ، فلسفة . ولكن ليس فيها ، بكل أسف ، فيلسوف . وأستغرب أن يقبل أحد من علمائنا لقب الفيلسوف . إن الفيلسوف من كانت له نظرية فلسفية جديدة هو مبتكرها . فأين النظرية الفلسفية الجديدة عندنا ؟

أرجو الأستاذ الكبير أن يغتفر ما لا يروق له من مقالى مؤكداً له أنى حسن النية . وجل من لا يشط ويغلط .

**نقولا الحداد**

في الأدب الانكليزي

# ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيري حماد

— ٢ —

وقد كتب عنه بِرل قائلا : « لقد كان أرنولد ناقداً أميناً ، نعم لقد أساء فهمه الكثيرون ولكن ما قيل عنه يجب ألا يعد لا في العير ولا في النفير فلم يخطئ الحقيقة بل أصاب مقالاتها في بعض الأحيان وأخطأها في البعض الآخر . ويبدو أن نجد في أدبنا ناقداً يضاهيه في الدعابة وحسن النكتة . وإن محاضراته عن ترجمة هو ميروس لتؤلف كتاباً تلذ قراءته ، وتفيد مطالعته ، ويستحسن طبعه ؛ فهو كتاب قيم يندر أن نجد له مثيلا في دقة محتوياته وحلاوة دعابته ؛ فهو يجعل قراءة الأدب لذيذة ؛ ومطالعة سير الحب سارة للرجال الذين بلغوا من العمر عتيا يتذكرون أيام طفولتهم ومغامرات حداثتهم [١] » .

لن تتيح لنا الظروف أن نتناول كل ما كتبه ارنولد في النقد وأصوله وفنه ، ويكفي هنا أن نسرد مثلين من أمثلة نقده لندلل على الطريقة التي كان يتبعها في نقد الأدب والأدباء . أما المثل الأول فهو يتناول آراء أرنولد في الشاعر الإنكليزي المعروف شلي ، والثاني تنسون .

لم يكتب أرنولد طيلة حياته نقداً تاماً للشاعر شلي ولكنه في مواضع كثيرة من مؤلفاته يطلعنا على رأيه فيه ؛ فهو يصفه كثيراً بقوله : « هو ملاك جميل ولكنه عديم التأثير إذ يحلق في الفضاء مرفرفاً بأجنحته دون أن يحدث هنالك كبير أثر [٢] » وفي بعض المناحي الشعرية يجهد شلي نفسه للحصول على ما يستطيعه الغير بسهولة ودون أي تعب أو نصب . ولكن الأغاني التي اشتهر أمره فيها لم تكن أحسن ما كتبه الشاعر بل إن معظم أشعاره متحف من التوافه والمبتذل من الشعر .

وكان أرنولد يعتقد اعتقاداً جازماً في أن شلي لم يصل إلى الدرجة السحرية الفائقة التي كانت تنتظر منه ، وأن شعره يخلو من المادة الصحيحة السليمة . ولكن دعنا نستعرض هذين الانتقادين لنرى مبلغ صحتهما وصوابهما . أما من حيث مادة شلي وأسلوبه فتكثر فيه الحسنات كما تكثر السيئات . وأما من حيث خياله ومقدرته السحرية فقد أخطأ أرنولد في نقده تمام الخطأ ؛ فمن يقرأ لشلي قصيدته « إلى الطائر to G Skylsrk » يجد فيها مقدرة خيالية عظيمة قل أن توجد في غيره من الشعراء . فقد صور فيها صوراً رائعة لا شك في تأثيرها على نفسية القراء .

ولنتناول الآن نقده لتنسون ، فقد كان دائم الكراهية لهذا الشاعر العظيم ، وعند ما ظهر كتاب « خرافات الملك » Jdylla of the King لتنسون كتب أرنولد عنه قائلا : « إن من الأغلاط الكثيرة التي أجدها في تنسون في كتابه هذا هو افتقاره لسحر القرون الوسطى وقوة خيالهم ، ومع مقدرته الفنية الفائقة فقد كانت تنقصه المقدرة العقلية [١] » .

وفي هذا النقد تحامل ظاهر لا يمكن أن نتجاوزه ، فقد كان أرنولد دائم التفضيل لبيرون على تنسون ، وقد وصفه الكثيرون من الأدباء بتحامله على جميع معاصريه مدفوعاً بروح المنافسة ، وهذا خطأ بين لا يمكننا الإغضاء عنه ، فقد كان من محبي سنت بوف مع أنه من معاصريه ومنافسيه . ناهيك عن تحامله الشديد على شلي وكيتس الذي امتد طيلة حياته .

من المثلين السابقين اللذين ذكرتهما نرى أرنولد مر النقد قوي الشكيمة ، ولكن هذه الصفة لم تكن لتنطبق عليه دائماً فكان من محبي وردزورث وبيرون ومن أنصارهما . وقد وصف وردزورث بقوله إن الطبيعة قد أمسكت بقلمه فسجلت روائع رائدها قوة الطبيعة الخارقة على تفهم الحياة ومناحيها المختلفة . وقد كتب إلى أحد أصدقائه « إني لا أومن بقوة تنسون ومقدرته في أية ناحية من نواحي الأدب . فهو لا يضاهي جوته في تفكيره العصري ، ولا وردزورث في خياله وقوة ابتكاره ، ولا بيرون في عاطفته ورقته . ولكنه شاعر يعتبره الناس في عصرنا هذا ،

(١) Selected Essays. Birrel P. 216

(٢) Amiscelleny Brodley P. 145

(١) Essay m Criticism : Grnoed

ولكني لا أحمل له في نفسي أي اعتبار أو تقدير لفنه أو لشعره[1] » .

وعندما أتناول البحث في كتابه : « مقالات في النقد » Essays on Criticism نرى القارىء هنالك بحثاً أكثر اسهاباً عن شهرة أرنولد في عالم النقد . فهو خير كتاب يقرأه الطالب لتعلم فن النقد وأصوله . ولكن نقده لم يكن في الحقيقة مبنياً على الأساس العلمي الصحيح فتحامله شديد على كثير من الأدباء والشعراء في عصره . وهذا التحامل قاده للتسرع بأقوال خالية من الحكمة ينقصها التفكير الطويل ، وتحكيم العقل والمنطق .

**شعره :**

تتلخص عبقرية أرنولد الشعرية في نجاحه في عرض أفكاره على جمهرة القراء . وفي أشعاره وخاصة قصيدته امبدوكليس Empedocles نرى الشاعر ينشدنا أغاني مطربة وقصائد تسيل رقة وعذوبة . فلنلق نظرة على هذه الأبيات القليلة من شعره ثم نبني حكمنا عليها بعد تدقيق وإمعان .

« ابولو — أيها الإله العظيم . إن هذه المساكن لا تصلح لسكناك قط . ولكن في ذلك المكان حيث يلتقي البحر فيه والجبل ، هناك حيث يرسل القمر أشعته الفضية فتتردد الأصوات في الفضاء متغزلة بجماله ، هناك في وادي الآلهة ترب thiohe يطيب لك العيش ويحلو لك السكنى » .

لو قرأنا هذه الأبيات في سورتها الإنكليزية لوجدنا الشاعر يغني معها شارحاً عواطفه ومشاعره . هنالك تسمو نفسه فيرتفع عن مصاف الشعراء العاديين . ولكن موسيقاه هي أنموذج من الأغاني الخفيفة التي يهابها ويخافها لتأثيرها على وحدة النفس وكيانها .

لقد تدرج أرنولد بدرع من الذكاء والابتكار . وطينة حياته تراه قنوعاً بالحياة التي يحياها وراضياً بالعالم الذي يعيش فيه ، ولكنا نرى من خلال قصائده تطلعه نحو حياة مشرقة ، حياة الصباح العاطر في أيام الربيع الجميلة عندما تتفتح الأزهار والرياحين ناشرة في العالم سعادة أزلية خالدة . وفي قصيدته الرقيقة « الغجري المتعلم » Scholar Cyibsy نرى الشاعر مسوقاً بتيار العواطف مقوداً لآلهة الشعر يضمن نظريته هذه في بضعة أبيات ملؤها الجمال والروعة متخذاً من هذا الحلم البهيج وحيه وسر عبقريته ، فهو يقول :

« فوق مياه المحيطات المتوسطة ، حيث تكثر الرياح بين شاطىء إيطاليا وشاطىء صقلية الجميلة حيث تلتقي مياه الاطلانتيك بمياه البحر المتوسط من خلال المضائق الغربية — هناك تكثر السفن المشرعة حيث ترتفع الصخور إلى عنان السماء — وتهب الأمواج عليها فتخرج الزبد . هنالك يظهر الإسبانيون سمر الألوان ميالين للمغامرة والإتجار . فيعقدون أسواقهم التجارية على شواطىء البحار ... »

وأروع قصائده خيالا وأوسعها حرية هي قصيدته « البحري المهجور » Fsroakin Merman حيث يتطلع إلى العالم القديم بعين التواق الراغب مؤنباً سكان هذا العالم لهجرهم إياه وابتعادهم عنه — فكرة هي نفس حامه الجميل معبرة بطريقة مخالفة عن رغبته في الشباب ، في الحياة الجديدة السرمدية حيث يقول :

« تلك الكهوف الرملية العميقة الرطبة ، حيث تهدأ الرياح وتسكن سكوناً أبدياً ، هناك تتسارق الأنوار النظر إلى هذه الأعماق ، وهناك تكثر الأملاح فتذوب في الجداول » .

وإن مقدرة أرنولد الرومانتيكية أو الإبتداعية بالأحرى لتتجلى في جماله وطهارته . وعوامل نجاحه وانتصاره تتلخص في سرده للخرافات والأحلام . وموسيقاه تختلف عما عرف في عصره بكونها خيالية شديدة الوقع لم تنل إعجاب المعاصرين . فشهرته كشاعر عبقري لم تبن بعد . ولما كانت البيئة التي وجد فيها تهتم كل الإهتمام للاخلاق ولا تأبه للجمال وأثره ؛ ولما كان والده رجلا دمث الأخلاق ليناً وعظيما في نفس الوقت ، لذلك نرى في شعر شاعرنا الميل الدائم إلى البساطة والرغبة الجلية في الطهارة والصفاء . وكنتيجة لهذه البيئة ولهذه الرغبة في الشاعر ظهرت هناك قصيدتان عدتا من روائع الأدب الإنكليزي بحثا في الأخلاق والدين بحثاً مسهباً مستفيضاً .

أحب أرنولد الطبيعة حباً جماً ، فوصفها في قصائده وأغانيه وصفاً قرأه كثير من البؤساء والمتألمين فسروا به عن نفوسهم ،

(١) Mathew Arnold. Pould P. 37

وأزالوا ما لحقهم من بؤس وشقاء . وكان ينظم قصائده على النمط الذي جرى عليه أستاذه وردزورث من قبله فقلده تقليداً أعمى فى أسلوبه وأفكاره . وكان بفطرته لا يميل إلى الإعتقاد بالخرافات والأباطيل القديمة مع أنه دونها كثيراً فى شعره ومؤلفاته ، فالصدق كان رائده فى كثير مما نظمه . وفى قصيدته « حداثة الطبيعة » the youth of mature نرى شخصيته متمثلة أتم التمثيل وأكمله . ولم يكن أسلوبه ليقل عن أسلوب شلى أو أى شاعر عظيم آخر ناهيك بأن مادته وأفكاره كانتا لا تضاهيان .

وقصيدته « تريشدام وايسوت » تحوى عدداً من الأغانى الرائعة فهى تبدأ بهذه الأبيات الجميلة :

« أشعل الضوء يا غلام حتى أراها فلقد أتت الملكة المتعجرفة أخيراً . انتظرت طويلا وغالبت الحمى التى انتابتنى تأخرت أيتها العزيزة ، وكان تأخرك نكراً وهجراناً » .

ويجمع محبو أرنولد وتلامذته على أن قصيدة « رسم وسهراب » Rurtum and Sohrab هى أحسن ما كتبه الشاعر وقد لقبه على أثرها لورد رسل بقوله : « هو شاعر العصر الأوحد » .

وهذه القصيدة مستمدة من قصة اسيوية قديمة تتلخص فى سير مبارزة حدثت بين بطل من أبطال الترك ووالده . وكان كل منهما يجهل صاحبه حتى قتل الولد فعرفه الوالد وحزن عليه حزناً شديداً . وما أجمل وصفه للأموات حين يقول

« إن الصدق يلازم شفاه الأموات ، والخداع كان بعيداً عن طبية خيالى » .

وعند ما يعلم الوالد أنه قد قتل فلذة كبده يشتد حزنه ويعزم على الإنتحار غرقاً فى النهر فيرجوه ولده المفارق للحياة أن يصبر وأن يجاهد فى هذه الحياة حتى يحصل ما لم يستطع هو الحصول عليه .

ومن بدائع شعره قصيدته « الميت الشجاع » التى لا يستطيع فهمها إلا القليل من متقفى القوم ومتأدبيهم . ولكن من يفهمها يشعر باللذة التى تعاوده عند مطالعتها ويحس بنفس الوقت بخلوها من الخيال والإغراء اللذين يشعر بهما عند قراءته لقصيدة « رستم وسهراب » . فهى تخرج من القلب خروج قصائد برنز الجميلة ؛ وإن الفقرة الأخيرة مع كونها لا تخلو من بعض الأغلاط إلا أنها لا شك تحوى من العاطفة قدراً كبيراً

« عندما نلتقى فتتطلع بنظراتك ، متفرساً فى وجهى وما أحدثته الأيام من الغضون فيه . ولكن بالله دعنى أسألك : من هو ذلك الغريب الذى يتطلع إلى بعين المتأمل ، ذو العينين الرماديتين والشعر الأسود » .

### فلسفته

لقد انتقد أرنولد المجتمع الإنكليزى فى عدد غير قليل من مؤلفاته وكتبه . وكان يميل إلى تقسيمه إلى ثلاث طبقات متفاوتة: أولاها طبقة الأشراف، وثانيتها الطبقة المتوسطة، وثالثتها الطبقة العامة . ولكنه لم يسمها كما سماها غيره من قبل ؛ بل أطلق على الأولى أسم البرابرة Darbaians وعلى الثانية لقب الفلستينيين[1] Phil istnis وعلى الثالثة لقب العوام Psyrulace وكان يحترم طبقة الأشراف ويكثر من الثناء على أفرادها قائلا : « إن أعظم الفضائل وجود طبقة راقية من النبلاء يتخلقون بأحسن الأخلاق ويتحلون بأجمل الفضائل ، لهم أفكارهم الشريفة ، وأعمالهم النبيلة التى حبتهم بها الطبيعة . ويزداد جمال هذه الفضائل عندما تصدر عن أناس أقوياء يتحكمون بمصير الأمة ومستقبلها وينزهون أنفسهم عن التشاحن والتطاحن فى المسائل التافهة . وقد يحدث أن أحد أفراد هذه الطبقة تعوزه العبقرية وينقصه الذكاء ولكنه مع ذلك لا تصدر عنه أمور لا تعد فى حكم الشريفة منها[1] » .

ولكن أرنولد يتطلع نحوهم فيرى نقصاً لا يمكن سده ، وعوزا ليس من المستطاع إهماله والاغضاء عنه . فهم بحاجة إلى الأفكار السامية وهذا ما سبب تأخرهم فى العصور الحديثة . وفى البلاد الأخرى نجد طبقة الفقراء على درجة أعظم من المدنية والحضارة من هذه الطبقة ؛ فالفقير يشعر بضعته ، ويحس بفقره وضعفه فيحسن من شأنه ليظهر بمظهر الند للند والقرن للقرن .

( يتبع ) **خيرى حماد**

(١) Mixed Essays Gnold

# الشـــعر يحتفل بأميره

في مساء يوم السبت الثامن من شهر ديسمبر ، أشرقت دار الوزير الشاعر الكاتب السمح ابراهيم دسوقى أباظة باشا عميد الأسرة الأباظية بألمع الكواكب المصرية في الحكم والسياسة والأدب والعلم والفن والصحافة إجابة لدعوة معاليه ، ليحتفلوا بمجد الشاعر العظيم عزيز أباظة باشا صاحب « أنات حائرة » ، ومؤلف المأساتين الشعريتين « قيس ولبنى » ، و « العباسة » ولم تشهد القاهرة المثقفة على كثرة ما شهدت داراً أحفل بالفضل وأحفى بالفضلاء ، ولاحفلة أروع بالأدب وأجمع للأدباء ، من هذه الدار وهذه الحفلة .

كانت الدار دار الأباظية ، والحفلة حفلة الأدب ، فلا غرابة أن يجتمع فيهما ما لم يجتمع في غيرهما من ملائكة البيان وشياطين الشعر

كان مطلع الإشراق الشعرى في هذه الحفلة أبياتاً من أرق الشعر وأبلغه لمعالى صاحب الدعوة في شكر مولانا « الفاروق » ، ألقتهما طفلته الأديبة الخطيبة « كوثر » بصوتها العذب ، ومنطقها الرائع ، ولهجتها الفصيحة ، منها :

آدام الله « فاروقاً » يفيض الخير من كفه
فقد فاض على الأسر ة ما ترجوه من عطفه
وعذراً إن بدا ضعفى وعجزى عن مدى وصفه

ثم تلاها أخوها الأديب الشاعر ثروت أباظة فألقى قصيدة من نظمه : وتتابع الشعراء والخطباء بعدهما على المنصة ، فنوهوا بمجد الشاعر ، وشادوا بفضل الداعى ، وهتفوا بعطف « الفاروق » ، كان أولهم الأستاذ العقاد ، وآخرهم الأستاذ الكاشف ، وفيما بينهما فيض من الشعر العاطق الجميل ، تدفق على ألسنة الناهين من شعراء الشباب ، ذكرونا بشعراء الحضرة في قصر الصاحب ببغداد ؛ ثم نهض للشكر صاحب السعادة الشاعر المحتفل به فارتجل خطبة من النمط العالى في الأداء والإلقاء دلت على أن موهبته الخطابية تنافس موهبته الشعرية في استحقاق التكريم . ثم كان مسك الختام قبلة أخوية قوية من معالى الوزير إلى سعادة المدير ، أجملت كل ما قيل في هذه الحفلة الرائعة الجامعة من معانى الإعجاب والإكرام والحب ... وفيما يلى ثلاث قصائد مما أنشد في هذا الحفل تعطيك نموذجاً من سائر ما قيل .

## قصيدة الشاعر الكبير عباس محمود العقاد

نابغ النظم والنـــظام ود لو حاور التمـــام
رام في حلبتيهمـــا قصباً كان لا يرام
حبـــذا محسن الفعا ل إذا أحسن الكلام
لك في كل دولـــة منهما أوفر السهـــام
أيها الأوحـــد الهمام حشت بالمعجز الجسام
كيف وحدت هكذا شيع الناس في وئام
تسمع الحمـــد لا تنا زع فيه ، ولا انقسام
كل ما راق في الخوا طر ألـــقى لك الزمام
ـب راثه الحـــجى أذنت صـــاته الذمام
والعظاميـــة التى فيك لم تخل من عصام
ورضى الله والمـــليـ ـك يزكى رضى الأنام
ولك الخلق والخـــلا ئق في حسنهـــا توأم
حكم ابن الحسين فيـ ـما موفيت الاحتكام
قال ود على التنـــبـ ـى وود على الوسـام
قلت لا بل كليهما ... ما على مفضل مـــلام
أنت في عامك القريـ ـب تحديث ألف عام

* * *

يا عزيزاً به استـــعز ذوو العزة الكرام
« جاد » أنفدت حرفها في اشتقاق وفي ارتسام
بالمجيد المجـــد والجيد الماجـــد المقـــام
فـــدك ! فاللفـــظ ضيق عن معانيك والسلام

## قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

طلعت بأفق العبقرية صاعدا فأدركت مجديها طريفاً وتالدا
تطوف مشبوب الخواطر هائماً تصور أوهام القلوب عقائدا
وتهتف بالنجوى وتهمس بالمنى وتستلهم الطيف الحبيب المعاودا
وتسبح في الأفق المنغم شادياً على قمة في الأفق ، عزت مقاصدا
ومن حولك الأضواء ، منهل شاعر
يوافيك بالألحان نشوى شواردا

فترسم أفراح الحياة بريشة  كأن بها من وحى جبريل رائدا
يُراوحُها سارٍ من الشوق عارمٌ
تحدَّرَ من قلب يفيض مواردا
تكنَّفه الكون الكبير فهاله  بقلبك أكوان تروع مشاهدا

أمان وآلام يجاذبنك الهوى  فقد صادفت قلباً بجنبيك واجدا
تجاوبت الأيام فيه فصاغها  ورددها لحناً على الدهر خالدا
وتسترجع الدنيا لديه شبابها  فينظم أصداء الزمان قصائدا
سيعنو لها وجه الزمان قداسة  وتبقى على جيد الزمان قلائدا
ألست الذى رد الليالىَ بيننا
فكدنا نرى عصراً على مصر وافدا
شهدناه منضور الحواشى مهادنا  وشمناه مغبر الجوانب راعدا
كأنى بهارون الرشيد يسوسه  ويختال فى دَست الخلافة مائدا
ويسمر فى القصر الأشم وحوله  خرائد تشدو فى هواه خرائدا
مباهج لم يحظ الزمان بمثلها  تأنقن إبداعاً ، وكن فرائدا
كأنى به يصغى لجعفر قبلما  تثور حواليه النفوس مكايدا
وقد نفرا للصيد ، لم يدر جعفر
بأن قد غدا صيداً ، وهارون صائدا
كأنى به والبرمكيون حوله  تهاووا شموساً فى الدجى وفراقدا
هو المجد إن تظفر به فاتق الورى  فيا طول ما تلقى لمجدك حاسدا
كأنى به فى حلة الملك رافلا  يخب بدنيا ليس يدنو لها مدى
عوالم هذا العصر أنت وسمتها  بفنك لم تعجز لساناً ولا يدا
تلقيتها وحياً من الله مسعداً  فأسبغ فاروق عليك روافدا
وحسبك أن ألقى بساحة ملكه  عليــك لواء العبقرية عاقدا
وكرمكم فى صاحب الدار هذه  ومن لك بالفاروق جاهاً وساعدا
أعز « دسوق » أمس بالرتبة التى
أتت رجلا فى النبل والفضل واحدا
صحائف من تاريخ مصر كريمة  نطالعها فى كل يوم محامدا
تفيض على قلبى ضياء وخاطرى  فأنظمها بالمعجزات حواشدا
أباظة حيا الله دوركم التى  غدت للفنون الباقيات معاهدا
عليها جلال الماجدين تخالها  إذا ما تبدت للعيون مساجدا
رعاها مليك النيل واختص أهلها  فبارك فيهم شاعراً ، ومجاهدا
لقد ظفروا منه بمجد مؤثل  وأكرم مجد ما يصادف ماجدا

## قصيدة الأستاذ العوضى الوكيل

نجم بأفق العبقرية لاحا  يزجى الضياء عشية وصباحا
وهزار روض صاح فوق غصونه  قوموا نحيوا ذلك الصداحا
مترنم بطرائف من فنه  تسبى القلوب، وتسحر الأرواحا
السامعون له يسائل بعضهم  بعضاً .. أشعراً ما شدا أم راحا ؟

اهنأ عزيز برتبة علوية  جادت بها منن المليك سماحا
كرم أفاء عليك من آلائه  فأشاع فى أحلامنا الأفراحا
وأتيح للشعراء ما حلموا به  هل كان قبلك مثل ذلك متاحا
والغيث إن روى الهضاب بسيبه  روى وهاداً بعدها وبطاحا !

لك منطق سهل البيان ، وربما  سهل البيان فأعجز الشراحا
فى كل أغنية وكل قصيدة  روض حوى ورداً وضم أقاحا
شعر تناغمه النفوس فتلتقى  فيه ... فيملأها أسى ومراحا
إنى لأسمك بالفؤاد أصونه  من أن يذوب أسى إذا هو ناحا
وتراه فى أفراحه وفتونه  يسلى الحزين الباكى الملتاحا

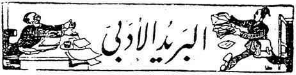
يا ابن الأعزة من ذؤابة طيء  الصارمين عزائما وسلاحا
والمالكين المجد من أطرافه  واللابسيه بردة ووشاحا
لى بينهم من إن هممت بذكره  طرب القصيد لذكره وارتاحا
من كل مرموق المكانة، مشرق  فى أفق مصر كوكباً لماحا ...

---

يا ابن الأعزة من ذؤابة طيء  الصارمين عزائما وسلاحا
المجد من بابيه أنت ولجته  وحشدت ميراثاً له وكفاحا
أخرست ألسنة الرجال بقصة  وتركت ألسنة الزمان فصاحا
صورت سلطان الرشيد وملكه  سوراً من النغم الرقيق ملاحا
وجلوت أعظم دولة عربية  نشرت على الأدب الرفيع جناحا
فاهنأ بجائزة المليك رفيعة  واهزز نفوس الشاعرين طماحا

---

بيت الأباظيين مثل خميلة  قد كرمت كروانها الصداحا
هو مربد الأدباء إلا أنه  أهدى سنى منه وأطهر ساحا
لا زال مرفوع البناء موطدا  مغدى لكل عظيمة ومراحا
لا زال أفقاً فى الحمى يبدى له  فى كل يوم كوكباً وضاحا




١ — اتحاف الفاضل :

أصلح الأستاذ الكبير النشاشيبي بيت البحتري في الطبعة التي يتعقبها من معجم الأدباء، ونقل عبارة الصحاح بأن للعرب أحرفاً لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كانت بمعنى الفاعل مثل قولهم. زهي الرجل الخ ...

قلت: ولابن علان الصديقي رسالة لطيفة جمع فيها طائفة صالحة من هذه الأحرف وسماها (اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل). وقد طبعها في دمشق من نحو عشرين سنة الأستاذ حسام الدين القدسي. صاحب (مكتبة القدسي) في القاهرة.

٢ — تأنيث الرأس :

من أعجب الأشياء في مصر أن جمهرة الكتاب فيها، إلا العشرة الكبار من البلغاء، يؤنثون (الرأس) ولا نفتأ نجدها كل يوم مؤنثاً في الصحف والمطبوعات، مع أن الذي نعرفه أن الرأس لا يكون إلا مذكراً، في اللغة و ... في الحياة! فهل لإخواننا في تأنيث الرأس وترئيس (الأنثى) وجه لا نعرفه؟

**علي الطنطاوي**

## الصحافة في حضرموت :

طالعت في العدد ٦٢١ من الرسالة مقالة عنوانها: «الأدب العربي» للدكتور ر. ب سارجنت تكلم فيها عن حضرموت وبشر بمستقبلها الحسن، وذكر بدء الحركة الأدبية بها، وانتعاشها. وبعد أن عدد بعض الأسر من السادات قال في سياق خطابه: وقد قامت هذه الأسرة المجددة في خلال السنتين والثلاث الماضية بنشر مجلة الإعتصام. وهي صحيفة شهرية تصدر من مدينة (سيؤن) وتعالج الشئون الدينية والثقافية إلى أن قال: ولا بد أن هذه الصحيفة هي المجلة الوحيدة التي تصدر في البلاد العربية على هذا الشكل.

وأحب أن أعرف جمهور قراء مجلة (الرسالة الغراء) بأن حضرموت منذ عهد قديم بدأت تباشير النهضة الحديثة تدب في شبابها فأسسوا الجمعيات والنوادي وفتحوا المدارس التي تهيئ نشأتهم لخوض معترك الحياة وقاموا بنشر المجلات والصحف، فأول مجلة صدرت من سيؤن (التهذيب) في حدود سنة ١٣٥٠ تقريباً. وتلتها مجلة (الأخاء) صدرت من «تريم» قامت بها «جمعية الأخوة والتعاون» في سنة ١٣٥٦ فمجلة (الحلبة) في بلد «مسيلة الشيخ» يحررها الأستاذ علي ابن عقيل بن يحيى في سنة ١٣٥٧ فمجلة (الاتحاد) في «عينات» قام بها «نادي اتحاد الشباب» سنة ١٣٦٠، فمجلة «النهضة» فمجلة (زهرة الشباب) صدرتا من سيؤن سنة ١٣٦٠؛ فمجلة (الإعتصام) وهي الأخيرة صدرت منها.

وكان أولئك المجلات مخطوطة إلا «الأخاء والحلبة» فقد طبعتا بحروف مطبعية بعد أن بدتا بصورة خطية. على أنه يجب أن أذكر للقراء الكرام أن هذه المجلات جميعها تصدر في حجم صغير يتناسب مع حالة البلاد الأدبية والاجتماعية.

**(حضرمي)**



١ — إلى الأستاذ أبي رية

قلت — أيها الأستاذ الكريم — في مقالك (الحديث المحمدي) بالعدد ٦٣٣ من (الرسالة): «أما حديث من كذب علي (متعمداً)، فقد عنيت بالبحث عن حقيقته عناية كبيرة حتى وصلت من بحثي إلى أن كلمة (متعمداً) لم تأت في روايات كبار الصحابة، ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين عمر وعلي وعثمان، وأن الزبير بن العوام — وهو حواري رسول الله وابن عمته — قد قال عنها والله ما قال (متعمداً) الخ — وأقول إني رأيت في صفحة ١٣٣ من (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف) للأمير شكيب أرسلان ما يفيد أن القائل (والله ما قال متعمداً) غير الزبير (جاء في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد رواية عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال (أي عبد الله ابن الزبير) قلت للزبير: مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان، قال أما إني لم أفارقه منذ

أسلمت ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على فليتبوأ مقعداً من النار » قال وهب بن جرير فى حديثه عن الزبير : والله ما قال « متعمداً » وأنتم تقولون « متعمداً » الخ وعلق المرحوم رشيد رضا على هذه الرواية بقوله فى صفحة ١٣٤ ( الحديث متواتر تواتراً صحيحاً بهذه الزيادة وممن رواها عن الزبير نفسه الامام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه فلا عبرة بإنكار وهب بن جرير لها عنه ، فالقاعدة أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، ووهب هذا قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل ، فقال ابن حبان كان يخطىء ، وأنكر عبد الرحمن بن مهدى والإمام أحمد مارواه عن شعبة — فما رأيك أيها الأستاذ الجليل - - فى هذا وفيما كتبه الأستاذ أبو شهبة فى هذا الموضوع بالعدد ٦٤٢ من الرسالة

— إلى الدكتور جواد علي :

قلت فى مقالك ( أول صلاة فى الاسلام ) بالعدد ٦٣٦ من ( الرسالة ) عن هرون بن عمران أنه ( لم يكن نبياً من الأنبياء ) — والصواب أنه نبي قال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً ) مريم آية ٥٣ وفى سورة طه ما يشير إلى أنه رسول ( فأتياه — الخطاب لموسى وهرون — فقولا إنا رسولا ربك ) الخ آية ٤٧

أسيوط — محمد عبود

١ — الأدب والجندية :

طالعنى أديب سكندرى جليل الخطر بظاهرة عجيبة تسترعى الاهتمام ، حين ذكر لى أن الذين تعاوروا على رياسة جماعة نشر الثقافة فى الثغر ، إنما هم من ضباط البوليس خاصة ، فالأميرالاى عبد المنصف محمود بك ، والصاغ زكى غازى ، والبكباشى أحمد الطاهر — الرئيس الحالى — كلهم من ضباط البوليس ، ولم يتول الرياسة من « المدنيين » سوى الأستاذ خليل شيبوب ، والأستاذ عبد اللطيف النشار .

وقال الصديق الأديب مداعباً : إن جماعة نشر الثقافة لم تعد على هذا الاعتبار جمعية أدبية ، وإنما أمست « قره قولا » ، أى معسكراً للشرطة .

ونحن لا ندرى وجهاً لاعتراض الأديب الفاضل ، وإن كانت ملاحظته تبعث الاهتمام حقيقة ، فلم يكن الأدب والجندية يوماً ضدين لا يجتمعان ، والأدباء الضباط والشعراء الضباط فى كل أمة يضيق الحصر دون ذكرهم ، والجندى إذ يصدمه الواقع المرير لا عليه أن يلوذ بأطياف الأدب الجميل .

ولكن الذى نأخذه على جماعة نشر الثقافة فى عهدها « العسكرى » أن نشاطها لا يكافىء ما كانت عليه فى العصر « المدنى » . وهذا ما نحب أن نوجه إليه أنظار القائمين عليها من الأدباء الأمجاد .

٢ - هندسة الأدب !

وليس الضباط وحدهم هم الذين ضربوا فى الأدب بسهم ، وإنما شاركهم أيضا المهندسون ، ولقد كانت حفلتهم التى أقاموها منذ أسبوعين منتدى أدبيا ، فهم أرادوا أن يبسطوا قضيتهم العادلة على جماعة من نواب الإسكندرية وأدبائها .

وكان جميلا من هؤلاء المهندسين الأدباء أن أحداً منهم لم يحاول أن يعد خطابا مكتوبا يتلوه على الحاضرين ، وإنما عمدوا إلى الإرتجال فى موضوعات هى من وحى الساعة ، ولا يدفع فى الذهن قط أنها هيئت من قبل . وكان جميلا منهم أن يحافظوا على سنن الفصحى فلا يلتوى بهم اللسان إلا فى القليل من الألفاظ التى يخطىء فيها الفحول !

ولقد طالب المهندسون بتعديلات لفظية فى القانون الجديد لنقابة المهندسين كأن تحذف عبارة « مساعد مهندس » ويتساوى المهندس الجامعى وغير الجامعى فى المنزلة الإجتماعية والوظائف الحكومية .

وإذا كانت الصحف اليومية قد لخصت قرارات مؤتمر المهندسين ، فإننا لا يسعنا إلا أن نناشد ولاة الأمور على صفحات مجلة الأدب الرفيع أن تعمل على نصفة هذه الطائفة النافعة العاملة ، فالمهندس خادم للفن ، والفن قطعة من الأدب ، وعالم ما بعد الحرب فى حاجة إلى مهندسين يبنون ولا يهدمون ، ليقيموا صرح الحضارة باذخاً لا تتقاذفه الأهواء .

( الرمل ) منصور جاب الله




# اليـــد المقطوعة

للكاتب الفرنسي جي دو موباسان

بقلم الأديب محمد عبد اللطيف حسن

التف الجمع حول المسيو برمتير مدير الأمن العام الذى أمكنه أن يحل بذكائه ونباهته رموز جريمة سان كلود التى حيرت أهل باريس مدة عام كامل ، وأن يكشف الستار عنها بما عرف عنه من مهارة البحث ، ودقة التحرى والاستقصاء ...

وكان المسيو برمتير جالساً يدخن غليونه فى هدوء بجوار المدفأة التى كانت تتأجج فيها النار ، وقد استلقى بظهره العريض الممتلىء على مقعد كبير مريح .

وغادر بعض السيدات الموجودات وسط هذا الجمع مقاعدهن واقترين منه ليتمكن من الإصغاء إليه . وكن يرتجفن وهو يسرد عليهن حوادث هـذه الجريمة الرهيبة ، ويروى لهن الغوامض والأسرار التى اكتنفتها فى ذلك الوقت من كل ناحية .

فلما انتهى من سردها التفتت إليه إحدى السيدات وقالت :

— إن هذه الجريمة تعتبر فى نظرى ، بل وفى نظر الكثيرين أيضاً ، من الجرائم الشاذة الخارقة لنواميس الطبيعة ...

فأجابها المسيو برمتير وهو ينفث من فمه دخان غليونه فى الهواء :

— إنها ليست يا سيدتى من النوع الشاذ الخارق لنواميس الطبيعة كما تظنين ، وكل ما يمكننى أن أقوله عنها إنها ارتكبت بمهارة فائقة ، ونفذت بطريقة متناهية فى البراعة والدقة . وكان الغموض يكتنف هذه الجريمة من كل جانب ، حتى إننى لم أتمكن من حلها إلا بعد كثير من المشقة وطول البحث والتفكير ...

وبعد أن سكت هنيهة تابع حديثه فقال :

— وقد مرت بى منذ بضع سنوات قضية يمكننى أن أقول عنها بحق إنها شاذة خارقة لسنن الطبيعة ، وهـذه القضية هى الوحيدة التى لم أتمكن إلى الآن من حلها ، ولم أوفق فى العثور على أثر يساعدنى على إجلاء غوامضها . وقد اضطررت فى النهاية إلى أن أنفض يدى منها بعد أن فشلت فى الوصول إلى فك رموزها ، وحل معمياتها الكثيرة .

وكان لهذه البداية المشوقة التى استهل بها المسيو برمتير قصته أثرها فى نفوس سامعيه ، فلم يلبث أن طلب منه النساء والرجال الذين كانوا يصغون إليه بشغف زائد وانتباه عظيم أن يسرد عليهم تفاصيل هذه القضية الغريبة . فارتسمت على شفتى المسيو برمتير ابتسامة خفيفة باسمة ثم اعتدل فى جلسته وقال :

كنت فى الوقت الذى حدثت فيه وقائع هذه القضية الغامضة مفتشاً سرياً بمدينة أجاكسيو ، وهى كما تعلمون مدينة صغيرة تقع على حافة خليج تحيط به الجبال العالية من كل جانب . وكانت مهمتى الرئيسية هنالك تدور حول كشف الجرائم التى يرتكبها أصحابها بدافع من الانتقام وحده . ففى ذات يوم علمت أن إنجليزياً غريباً عن تلك البلاد نزل فى هذه المدينة واختار لسكناه دارة (فيلا) جميلة تقع فى نهاية الطرف البعيد الممتد من هذا الخليج . وقد أحضر هذا الإنجليزى معه خادماً فرنسياً أثناء مروره بمدينة مرسيليا . وقد دارت الإشاعات الكثيرة حول هذا الإنجليزى الذى كان يعيش فى هذه الدارة بمفرده ، والذى لم يكن يغادرها إلا عندما يخرج للقنص والصيد فحسب ! ولاحظ عليه سكان المدينة أنه لم يكن يخاطب أحداً من أهلها ، ولا يسير فى شارع من شوارعها إلا نادراً ! وكان يتمرن ساعة أو ساعتين فى صباح كل يوم على إطلاق النار من مسدسه الذى لم يكن يفارق جيبه الخلفى مطلقاً ! وأشاع عنه بعض الناس أنه قدم إلى هـذه المـدينة بعد أن فر من بلاده لأسباب سياسية ، والبعض الآخر أشاع عنه أنه ارتكب جريمة شنيعة فر بسببها إلى هذه البلاد هارباً من وجه العدالة ! وكانت طبيعة عملى تحتم على إذ ذاك أن ألم بشىء من حيـاة هذا الرجل الغامض ، الغريب الأطوار ، بيد أنى لم أنجح فى ذلك فى بداية الأمر . وكان الاسم الذى عرف به هذا الإنجليزى بين أهل هذه المدينة هو السير جون رويل . وبالرغم من أنى كنت أقتفى أثره وألازمه ملازمة الظل فى كل خطواته

دون أن أشعره بمراقبتي له ، فاني لم ألحظ عليه ما يريبه أو يشين سمعته بشيء .

ومع كل ذلك فان هذه الإشاعات والأراجيف التي كان يتقولها الناس عنه بالحق أو بالباطل لم تقف عند حد ، بل لقد زادت في الواقع انتشاراً وذيوعا إلى درجة دفعتني إلى محاولة الإتصال بهذا الرجل مهما كلفني ذلك من جهد أو كبدني من مشقة وعناء . وكانت أول خطوة خطوتها لتحقيق غرضي أنني بدأت أصطاد بانتظام ، وفي مواعيد معينة ، في بقعة كبيرة مكشوفة بالقرب من مسكنه . وفي ذات يوم اصطدت طائراً سقط لحسن حظي في حديقة دارته الواسعة المترامية الأطراف ، فأسرع كلبي الذي كنت أصطحبه معي دائماً عند خروجي للقنص والصيد وأحضر الطائر المصاب بين أنيابه وهو يلهث من شدة التعب . وقد انتهزت حينئذ هذه الفرصة التي أتاحتها لي الظروف للتعرف بالسير جون رويل الذي كان جالساً وقتئذ في حديقة منزله ، فاجتزت المسافة التي كانت تفصلني عنه بخطوات سريعة واسعة ، ثم قدمت إليه هذا الطائر — وكان من الطيور الغريبة النادرة المثال — على سبيل الهدية وأنا أعتذر إليه في نفس الوقت من تهجمي على حرمة مسكنه . فشكرني السير جون رويل بحرارة وإخلاص لم أكن أتوقعهما منه وتقبل مني هديتي البسيطة وهو يتمتم بعبارات الشكر والإمتنان .

وقبل مضي شهر على هذا الحادث كنت قد تبادلت الحديث معه نحو خمس مرات أو ست ، ولكنه كان حديثاً عادياً مألوفاً لا يقدم ولا يؤخر . وفي ذات مساء كنت أمر بجوار منزله فشاهدته جالساً في الشرفة يدخن غليونه بهدوء وقد أمسك في يده صحيفة يومية كان يطالع فيها بشغف واهتمام . فلما وقع بصره على حييته برفع قبعتي ، فرد تحيتي باسماً ثم دعاني إلى الجلوس معه فقبلت دعوته عن طيب خاطر .

وقد انتهزت حينئذ هذه الفرصة التي كنت أترقبها بفروغ صبر فسألته حين استقر بنا المقام عن تاريخ حياته الذي لا أعرف عنه حتى تلك اللحظة شيئاً ! فعلمت منه حينئذ أنه سافر إلى أمريكا وأفريقيا والهند وكثير من الأقطار الأخرى . وبعد أن مرت بيننا لحظة سكوت قصيرة قال لي وهو يبتسم :

« لقد صادفت أثناء تجوالي في تلك البلدان كثيرا من المخاطر والأهوال التي كادت تودي بحياتي في كثير من الأوقات لولا لطف الله ورعايته ... » وهنا أطلعني على كثير من التفصيلات العجيبة الخاصة بصيد فرس البحر ، والفهود ، والفيلة ، والغوريلا وغيرها . فقلت له وأنا أعجب بغزارة علمه ، وسعة إطلاعه : « إن هذه الحيوانات وحشية ومخيفة للغاية » .

فأجابني محدثي وهو يبتسم بهدوء : « نعم هذه الحيوانات وحشية ومخيفة كما تقول ، ولكن هنالك بين البشر من هم أكثر وحشية وأشد شراسة وفتكا منها ! » وتطرق الحديث بنا بعد ذلك إلى التكلم عن أنواع بنادق الصيد المختلفة . ثم دعاني بعد أن فرغنا من هذا الحديث إلى مشاهدة مجموعة البنادق والأسلحة التي كان يحتفظ بها في إحدى الغرف الخلفية للمنزل . واسترعى نظري في هذه الغرفة التي أدخلني فيها شيء غريب معلق على الحائط ، وكان هذا الشيء موضوعاً داخل جراب من القطيفة السميكة الحمراء . فلما اقتربت من هذا الشيء لأتبينه عن قرب وجدته يداً بشرية كبيرة الحجم ! وكانت هذه اليد المقطوعة جافة سوداء ذات أظافر طويلة مصفرة اللون ، وعليها آثار دماء متجمدة سوداء قديمة العهد . وكان يلوح لي على هذه اليد أنها قطعت بمهارة فائقة عند اتصال أعلى الذراع بالكتف بآلة صلبة حادة .

ومما استرعى انتباهي أكثر من أي شيء آخر أنني رأيت حول معصم هذه اليد سلسلة حديدية متينة مشدودة إلى حلقة مثبتة في الحائط بدقة عجيبة ، بحيث لا يقوى على انتزاعها من مكانها أقوى الرجال عضلا وأشدهم بأساً !

فلما رآني السير جون رويل أحدق بدهشة وذهول في تلك اليد البشرية البشعة المنظر تلاشت الابتسامة التي كانت مرتسمة على شفتيه منذ لحظة وقال : « إن هذه اليد التي تراها معلقة على الحائط أمامك هي يد ألد عدو لي على ظهر البسيطة ، وهو رجل زنجي من أهالي أمريكا الجنوبية ، وقد قطعت يده هذه بفأس كبيرة حادة النصل بعد أن قتلته شر قتلة ، ثم نزعت عنها جلدها الخارجي وجففتها في الشمس مدة أسبوع كامل واحتفظت بها بعد ذلك داخل هذا الجراب الذي تراها موضوعة فيه » وكانت أصابع هذه اليد اللعينة طويلة ملتصقا بعضها ببعض بقطعة كبيرة

من القماش الأبيض المتين . وقلت للسير جون رويل وأنا أشيح بوجهي عن هذه اليد التي كان يدل قطعها على منتهى الوحشية والقسوة : « أظن أن عدوك هذا كان قوياً كبير الجسم ؟ » فأجاب الانجليزي ببرود وجمود : « نعم ! لقد كان ضخماً قوياً فى الواقع، ولكننى كنت فى ذلك الوقت أقوى وأشد بأساً منه ، وقد ربطت يده فى تلك السلسلة الحديدية المتينة حتى لا تحاول الإفلات منها ! » وظننت حينئذ أنه قال العبارة الأخيرة على سبيل الدعابة والتفكه فقلت : « ولكن هذه اليد لا يمكنها الإفلات بطبيعة الحال ، ولا سيما بعد أن فصلت عن جسم صاحبها الذى قتلته شر قتلة كما قلت ؟ » فأجاب السير جون رويل وهو عابس الوجه ، مقطب الجبين : « لقد أخطأت القول ياصاحبي ، فقد حاولت هذه اليد الإفلات فعلا عدة مرات ، ولهذا لم أجد بداً من ربطها فى هذه السلسلة القوية ! » فنظرت إليه حينئذ نظرة غريبة متشككة وظننت أن به مساً من الجنون ، ولكن جمود وجهه وصرامة هيئته كانا يدلان على أنه جاد فى قوله ، صادق فى زعمه . ولما سألته عن سبب قتله لهذا الرجل انقلبت سحنته واكفهر وجهه ثم هز رأسه متأسفاً وقال : « هذا يا صاحبي سرى الخاص الذى أحتفظ به لنفسى ولا يمكننى أن أبوح به لأى مخلوق ... » وتبين لى وقتئذ أن السير جون رويل كان لا يزال يعيش فى رعب دائم ، وهلع مستمر من هذه اليد البشرية المقطوعة الكئيبة المنظر .

وبعد أن فرغت من التفرج على معروضات الغرفة استأذنت منه فى الإنصراف فأذن لى بعد أن أخذ منى وعداً بزيارته كلما سمح لى وقتى بذلك . وقد بررت بوعدى اياه فترددت على منزله عدة مرات ثم انقطعت فجأة عن زيارته لأسباب هامة شغلتنى عنه . ولاحظت فى هذا الوقت أن الأراجيف التى كان يروجها الناس عن السير جون رويل بدأت تخف حدتها ، وتقل وطأتها شيئاً فشيئاً حتى تلاشت نهائياً فى آخر الأمر . وفى صباح ذات يوم أيقظنى خادمى من نومى وأخبرنى أن السير جون رويل وجد مقتولا فى منزله حوالى الساعة السابعة صباحاً ؛ وهى الساعة التى اعتاد خادمه الفرنسى أن يوقظه فيها من نومه . ولم تمض نصف ساعة على أثر سماعى هذا النبأ السيء حتى كنت فى منزل القتيل ومعى اثنان من مفتشى البوليس . وهنالك وجدت خادم السير جون رويل واقفاً على باب المنزل فى انتظارى . وكان يبكى بحرقة وحرارة ويبدو على وجهه آثار الحزن العميق والألم الدفين . وجال بفكرى أولا أنه مرتكب هذه الجريمة دون غيره . ولكنى لم ألبث أن نفيت عنى هذا الخاطر بعد أن اتضح لى فيما بعد براءته مما نسب إليه . ولما فحصت جثة السير جون رويل التى كانت ملقاة على ظهرها وسط غرفة نومه وجدت سترته ممزقة شر ممزق ، وكان أحد أكمامها منزوعاً من مكانه بشدة ، فاستنتجت من ذلك أنه قد حدثت مشادة عنيفة بينه وبين القاتل . واتضح لى أيضاً بعد أن كشفت على جثته أنه مات مخنوقاً ، لأن لون بشرته كان يميل إلى الزرقة الداكنة الضاربة إلى السواد . وكان يلوح على وجهه الجامد الصارم التقاطيع آثار رعب هائل وفزع شديد . وقد لاحظت أن أسنانه كانت مطبقة بشدة على شيء غريب لم أتبينه فى بادىء الأمر . وكان فى أسفل عنقه خمس ثقوب صغيرة بارزة بحجم أصابع اليد . وطبيعى أن هذه الثقوب قد نشأت من غرز أصابع يد قوية شديدة الصلابة . ولما وصل الطبيب الشرعى الذى قدم على أثرنا مباشرة ، وفحص بصمات الأصابع الموجودة على عنق القتيل التفت نحوى وقال : « لقد نشأت هذه الثقوب التى تراها واضحة فى أسفل العنق من تأثير ضغط يد بشرية قوية ، وهى فى الغالب يد هيكل بشرى أكثر منها يد إنسان حى ! » فسرت فى جسدى رعدة قوية عندما سمعت منه ذلك ، وانتقل تفكيرى بسرعة إلى تلك اليد المشئومة التى رأيتها فى الغرفة الخلفية لمنزل السير جون رويل .

ولم تمض على ذلك برهة حتى كنت داخل هذه الغرفة ، فلم أجد هذه اليد فى مكانها من الحائط ! فدهشت لذلك دهشة عظيمة وتحيرت فى تفسير هذا الأمر الغريب الذى لم يسبق أن صادفت مثله فى حياتى الحافلة بالمهالك والمجازفات ! ومما زاد فى دهشتى وحيرتى أننى وجدت السلسلة التى كانت هذه اليد مشدودة إليها ، مفككة الأجزاء ، مقطعة الأوصال ، وملقاة على الأرض بلا عناية ! ...

ولما عدت أدراجى إلى الغرفة الموجودة بها جثة السير جون رويل ، انحنيت فوق جسمه الممدود على الأرض ثم فتحت فمه بأقصى قوتى وانتزعت الشيء الغريب الذى كان مطبقاً عليه بين أسنانه فوجدته لعظم دهشتى أحد أصابع اليد المقطوعة المختفية ! ولم يؤد البحث الذى قمت به فى ذلك الوقت فى سبيل العثور على

تلك اليد إلى أى نتيجة ، وذهبت جهودى ومتاعبى كلها أدراج الرياح ! وعلمت من خادم القتيل عند استجوابى له ، أن جميع أبواب ونوافذ المنزل كانت محكمة الإغلاق فى الليلة التى ارتكبت فيها هذه الجريمة ، ولم يسمع الخادم نباح الكلاب التى كان يطلقها السير جون رويل فى حديقة منزله كل ليلة مما يدل على أن أحداً غريباً لم يدخل المنزل من الخارج ! كما أنه صرح لى ضمن أقواله التى أدلى بها إلى أن سيده كان يبدو قلقاً مشتت الفكر فى الشهر السابق لوفاته ، وأنه تسلم فى أخريات أيامه رسائل كثيرة كان لا يلبث أن يلقى بها طعمة للنيران بمجرد قراءته لها ! وقال أيضاً إنه كثيراً ما رآه ممسكا فى يده بهرواة ثقيلة ؛ وقد تجلى فى عينيه الرهيبتين بريق الشراسة والغضب ، ثم يهوى بها بشدة وعنف على تلك اليد المقطوعة التى كانت معلقة على الحائط ، والتى اختفت من مكانها فجأة فى ليلة مصرعه ! وزاد الخادم على ما تقدم فقال : « لقد آوى سيده إلى فراشه متأخراً فى تلك الليلة المشئومة على غير عادته ، وأوصد عليه باب غرفته من الداخل . وقد اعتاد أن يضع مسدسه الكبير تحت وسادته بعد أن يحشوه بالرصاص ، ولكنه نسى لسبب ما أن يضعه فى تلك الليـــلة فى مكانه المعهود ... » .

وسكت الخادم هنيهة ليسترد أنفاسه اللاهثة ثم تابع حديثه لى فقال : « وكثيراً ما كنت أسمعه يخاطب نفسه أثناء نومه بصوت عال مسموع كما لو كأن يشاجر إنساناً موجوداً معه بالغرفة ! ولكنى لم أسمع له صوتاً فى تلك الليلة التى قتل فيها ، ولم أكتشف مصرعه إلا عند دخولى غرفته فى الصباح بعد أن دفعت الباب بكل قوتى حين لم أسمع منه الداخل رداً على نداءاتى المتكررة . ولا يمكننى أن أتهم أحداً ، أو أشتبه فى أحد ، لأننى لا أعرف له أعداء على الإطلاق ، فضلا عن أنه كان قليل الاختلاط بالناس » .

ولما فرغ الخادم من الإدلاء بأقواله غادرت منزل القتيل ثم ذهبت إلى حاكم المدينة وأطلعته على كل التفاصيل التى عرفتها عن هذه القضية الغامضة . وعلى الرغم من التحريات الدقيقة التى قام بها مفتشو البوليس فى المدينة — وأنا معهم — فإنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى معرفة القاتل الذى لم يترك وراءه أثراً على الإطلاق ولم يعثروا طوال مدة بحثهم على أى أثر — ولو بسيطا — يستدل به عليه ! ومن غريب ما حدث بعد ذلك أن أحد رجال الشرطة السريين أحضر إلى فى الشهر التالى لوقوع هذه الجريمة تلك اليد المقطوعة التى اختفت فى ليلة مصرع السير جون رويل ، وأخبرنى أنه عثر عليها بطريق المصادفة على مقربة من قبر القتيل نفسه ! فلما اختبرت هذه اليد وفحصتها بعناية ودقة بالغتين ، وجدت أحد أصابعها ناقصاً ! فتذكرت على الفور ذلك الإصبع الذى كان السير جون رويل مطبقاً عليه بين أسنانه . وبمطابقة هذا الإصبع الذى احتفظت به معى بعد وقوع الجريمة بباقى أصابع اليد ، وجدته يطابقها تمام المطابقة !

وبعد أن سكت المسيو برمتير سكتة قصيرة حول وجهه نحو مستمعيه ليرى تأثير قصته فى نفوسهم ثم استطرد فى حديثه فقال :

— هذه هى تفاصيل القضية الغريبة ، وهى مع الأسف الشديد كل ما أعرفه عنها حتى يومنا هذا .

وهنا سألته إحدى السيدات وهى تجفف بمنديلها قطرات العرق الذى أخذ يتجمع فوق جبينها فقالت :

— ولكن حل هذه الجريمة لم يزل غامضاً لنا ياسيدى إلى الآن ؟

فابتسم المسيو برمتير إبتسامة مغتصبة وأجابها بقوله :

— إن الذى أمكننى أن أستنتجه من خلال الحوادث والملابسات التى مرت بهذه القضية الغامضة ، هو أن صاحب هذه اليد المقطوعة لم يمت كما توهم السير جون رويل . والظاهر أنه تتبعه فى كل رحلة من رحلاته ، واقتفى أثره فى كل مكان ذهب إليه ، حتى استقر به المقام مدينة أجاكسيو . وهنالك أمكنه أن يقتله فى منزله بيده الأخرى الصحيحة شر قتلة بعد أن نشبت بينهما تلك المعركة العنيفة التى أدت إلى مصرع السير جون رويل فى النهاية . ويلوح لى أن المجرم انتزع اليد المقطوعة من مكانها بعد أن فرغ من ارتكاب جريمته ، وغرز أصابعها فى عنق القتيل تشفياً وانتقاماً منه ثم أخذها معه وفر هارباً . فلما دفن السير جون رويل ذهب هـذا المجرم الجرىء إلى مقبرته ووضع هذه اليد بجوارها ، ليوهم الناس أنها هى التى قتلته من ناحية ، وليضلل رجال البوليس من ناحية أخرى ! فاذا كان استنتاجى هذا صحيحا فلا شك أن القاتل قد نجح فى تحقيق فكرته الشيطانية كل النجاح ، ووفق فى الإنتقام من السير جون رويل كل التوفيق . أما الطريقة التى دخل بها المجرم إلى منزل عدوه ثم خرج منه على الرغم من أن النوافذ والأبواب كانت موصدة كما ذكر الخادم فى روايته ، فهذا ما لم أجد له حلا ولم أتوصل إلى معرفته للآن !

**محمد عبد اللطيف حسن**